كونوا واحداً لا اثنين .. فالفتنة لاتبقي ولاتذر !!

التوحيد

مجلة إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥٠٣ - السنة الثانية والأربعون - ذو القعدة ١٤٣٤ هـ

الثمن جنيهان

رفع البلاء بالتوبة إلى الله !!



وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

موقف الغافلين من الأحداث الجارية



لا تسأل عمن هلك .. سل عمن نجا !!

الحج دروس وعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

السلام عليكم

رَفع البلاء بالتوبة إلى الله

مما لا شك فيه أنَّ هناك موجة من البلاء (تسونامية) تجتاح العالم الإسلامي أجمع، ومما لا شك فيه أيضًا أن لله تعالى في ذلك حكمة لا نعلمها.

لكن الثوابت التي علمناها من ديننا أن « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ»، وكذلك فإن الذنوب سبب عظيم لوقوع الابتلاءات والمصائب؛ «لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم: ٤١]؛ فهل فكر المذنبون أن يرجعوا؟!

وكذلك عرفنا أن البلاء يُرْفَع بالتوبة، فإذا كان البلاء عامًّا فيحتاج إلى توبة عامة، فهل سيتوب الخاصة والعامة؟!

ومما علمناه أيضًا من ديننا أن الله تعالى قال: «فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» [الأنعام: ٤٢]، فهل حصل التضرع العام بالصورة التي تعدل البلاء العام كي تكون سببًا في رفعه؟!

الأصعب من ذلك كله أن ننظر إلى تلك البلاءات والمصائب نظرات سياسية وأرضية واجتهادية بعيدًا عن الشريعة الربانية والسيرة النبوية والقياسات الشرعية، بل تبنى الحلول على أوهام وظنون، فبذا وقع البلاء والداء وفقدنا الدواء.

ويا للحسرة!! حينما يصف الدواء أحد الفرنسيين النصارى وهو يصف التراث النبوي قائلاً: كل سؤال له عندك يا ابن عبد الله جواب، وكل مشكلة مهما استعصت وتعقدت وجدنا لها في تراثك يا ابن عبد الله حلاً!!

التحرير

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

السنة الثانية والأربعون
العدد ٥٠٣ ذو القعدة ١٤٣٤

في هذا العدد

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة ، حساب رقم /١٩١٥٩٠ .

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



افتتاحية العدد

الأمن فريضة شرعية ونعمة ربانية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فإن الأمن نعمة ربانية، وسعادة دنيوية وأخروية، وهو من الأسس التي يقوم عليها تقدم الأمم ورقي الشعوب، وللأسف الشديد غاب الأمن في كثير من المجتمعات اليوم- كما هو مشاهد وواقع-، وكأنه الأصل الذي يجب أن تحيا عليه الشعوب، والمتأمل في شريعة الإسلام يدرك أهمية الأمن، ويعلم أنه فريضة شرعية، وضرورة حياتية، وقد ذكر القرآن الكريم دعوة خليل الرحمن إبراهيم- عليه السلام- ربه أن يجعل مكة بلدًا آمنًا، فلا يُرعَب أهله، ويكثر خيره ورزقه، حتى يفد الناس إليه ويحصل الاستقرار فينتشر الأمن بسبب ذلك، قال الله تعالى: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ » [البقرة: ١٢٦]، وقد أجاب الله دعاءه، قال الله تعالى: «وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا» [آل عمران: ٩٧]، كما أشار سبحانه إلى فضله ونعمته على أهل مكة بالأمن الذي فقده من حولهم، كما قال الله تعالى: « أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ » [العنكبوت: ٦٧]، قال الشيخ الشنقيطي- رحمه الله- في هذه الآية: «امتن الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة على قريش بأنه جعل لهم حرمًا آمنًا، يعني حرم مكة، فهم آمنون فيه على أموالهم ودمائهم والناس الخارجون عن الحرم يتخطفون قتلاً وأسرًا». [أضواء البيان ٦/٤٧١].

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السماوات والأرض، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن حمل السلاح فيها، كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح». [مسلم: ١٣٥٦].

كما تفضل الله تبارك وتعالى على الصحب الكرام بنعمة الأمن عند مقابلة الأعداء، فثبت بذلك قلوبهم وأقدامهم، وصرف عنهم الخوف والسهر الذي أرهقهم، كما قال الله تعالى في غزوة بدر: « إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ » [الأنفال: ١١]، وقد فعل الله تعالى لهم ذلك أيضًا يوم أحد، كما قال جل ذكره: «ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ »

[آل عمران: ١٥٤]، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمن المجتمع وسلامته بصور متعددة- سيأتي ذكرها إن شاء الله-، غير أنه جمع متاع الدنيا في ثلاثة أمور على رأسها الأمن كما في حديث سلمة بن عبيد الله بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح منكم معافىً في جسده، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢/٣٩٩].

ويفهم من قوله: «آمنا في سربه» أنه مستريح البال، مطمئن النفس، وهذا من أعظم نعم الله على الإنسان، وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالأمن والظهور بعد الاستضعاف، كما في حديث عدي ابن حاتم، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد». [مسند أحمد ٤/٢٥٧].

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون الأمن الحقيقي والسعادة الكاملة والحياة الطيبة الهادئة في الدنيا والآخرة لمن تمسك بالشرع المطهر، ولزم الهدي الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ » [طه: ١٢٣، ١٢٤]، قال الصحابي الحبر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- في معنى الآية: «فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ»: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي» أي خالف أمري، وما أنزلته على رسول الله صلى الله عليه وسلم- أعرض عنه وتناساه وأخذ من غير هداه، «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا» أي: ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة». [انظر تفسير ابن كثير: ٣/٢٣٣].

من أسباب حصول الأمن

أولاً: سلامة المعتقد وسلامة المنهج واستقامة السلوك، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بما كان عليه الصدر الأول من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، مع ضرورة البعد كل البعد عن مسالك المخالفين من أصناف المبتدعة المخالفين لمنهج سلف الأمة الصالحين، وقد وعد الله عباده الموحدين بالأمن والتمكين إذا عبدوا الله وحده، قال الله تعالى: « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا » [النور: ٥٥]، ومعنى الآية: أن الله يورث الأرض ويجعل من صدق في عبادة الله خلفاء في الأرض يتصرفون فيها تصرف الملوك في الممالك، وهذا وعد من الله بالتمكين لأصحاب الصراط المستقيم، ولا يكون هذا بوعد الله إلا للموحدين، والتاريخ الإسلامي شاهد على ذلك، فالصحابة الكرام- رضوان الله عليهم أجمعين- حقق لهم هذا الوعد بسبب تمسكهم بهذا الدين، وسلوكهم الصراط المستقيم، وهذا لا يخفى على الدنيا بأسرها، فقد أنجز الله لهم وعده، وأظهرهم على بلاد المشرق والمغرب، وفرقوا ملك الأكاسرة والقياصرة، وصاروا إلى حال

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون الأمن الحقيقي والسعادة الكاملة والحياة الطيبة الهادئة في الدنيا والآخرة لمن تمسك بالشرع المطهر، ولزم الهدي الذي بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم.

يخافهم كل من عداهم، ولا يستطيع أحد أن ينال منهم، وإذا أردنا اليوم أن يتحقق لنا ذلك، فلا بد من سلوك نفس المنهج والطريق- عقيدة صحيحة، وعبادة سليمة مستقيمة، واتباع للهدي النبوي فحسب، وإن وقعت المخالفة لذلك، فالأمر كما قال الله في كتابه: « وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا » [النساء: ١١٥]، وكما يؤمن الله عز وجل عباده الصالحين ويمكن لهم في الأرض في الدنيا، يحصلون بعد ذلك على قمة النعيم والأمن التام في جوار الرحمن في الدار الآخرة، كما قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢]، وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الشرك في هذه الآية بالظلم مستندًا إلى قول الله تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم»، ويبين هذا أيضًا قول الله تعالى: « وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ » [يونس: ١٠٦].

ثانيًا: تطبيق الحدود الشرعية على من يستحقها، وعدم المحاباة والمجاملة والتهاون في ذلك، لأن من الناس من لا يردعه الإيمان والتقوى، فتنزع نفسه إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات، أو الاعتداء على الحرمات، فشرع الله الحدود لردع تلك النفوس عن جرائمها، ولتحصيل أمن الأفراد والمجتمعات، وأصبح من الإيمان تطبيق هذه الأحكام، وقد طبقها صلى الله عليه وسلم على أتم وجه، ونهى عن الشفاعة فيها لإسقاطها وتعطيلها، وغضب صلى الله عليه وسلم على حِبه أسامة بن زيد حين تقدم للشفاعة في امرأة سرقت- كما في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها. [البخاري: ٦٧٨٨، ومسلم: ١٦٨٨].

إن من أهم أسباب حصول الأمن: سلامة المعتقد والمنهج ، واستقامة السلوك ، والتحاكم إلى شريعة رب البرية ، ثم الاعتراف بنعم الله علينا في هذا كله.

وقد دل الحديث على أنه يجب على المجتمع أن يقيم الحدود المشروعة وأن يقطع الوساطة والشفاعة فيها، لأن ذلك من أسباب استتباب الأمن، وأن إسقاط الحدود وعدم إقامتها كان سببًا في هلاك بني إسرائيل، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله فوائد عظيمة تؤخذ من هذه القصة منها: منع الشفاعة في الحدود، وترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولدًا، أو قريبًا، أو كبير القدر والتشديد في ذلك والإنكار على من رخص فيه، أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه. [فتح الباري ٢/٩٥، ٩٦].

ثالثًا: الاعتراف بنعم الله علينا، والتحدث بها وشكر الله عليها، وذلك يكون بطاعته والتزلف بين يديه والعمل على ما يرضيه، قال الله تعالى: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ » [إبراهيم: ٧]، ومفهوم الآية: أن من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه ومن ذلك نعمة الأمن، وقد جاءت هذه الآية بعد أن ذكر الله منته على قوم موسى بإنجائهم من فرعون وبطشه، وفي هذا ترغيب في شكر النعم

لاستمرارها وزيادتها. ولأهمية الأمن في دنيا الناس سلكت الشريعة الإسلامية مسالك متعددة لحصوله وتحقيقه في مجتمع البشر، وهذه منقبة عظيمة للدين الخاتم، ومن هذه المسالك: أن أمَّن الإسلام النفوس البشرية من الاعتداء عليها، وقد عظم الله- تبارك وتعالى- أمر الدماء بصورة عامة في كتابه، ويكفي أنه حمَّل ابن آدم الأول الذي سن القتل في البشرية وقرر أن أي نفس تقتل بغير حق، كما قال الله تعالى معقبًا على قتل أحد ابنَيْ آدم لأخيه: «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢]، كما أمَّن الإسلام العقل الذي هو مناط التكليف، فحرم ما يؤدي إلى ضياعه أو فساده واختلاله، وشرع حدًا لمن يعتدي على العقل بشرب خمر ونحوه، وما ذاك إلا لأن العقل مناط التكليف، وخطاب الله تعالى لا يتوجه إلا للعقلاء، قال الله تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» [العنكبوت: ٤٣]، والمعنى: أن الأمثال المضروبة لا يفهمها ويعلمها إلا أصحاب العقول، ومن هنا جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم برفع التكليف عمن فقدوا مناط التكليف، كما في حديث علي وعمر- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رُفع القلم: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم». [صحيح الجامع: ٣٥١٢]، كما نهى الإسلام المسلم أن يصغي للأفكار المنحرفة الهدامة والآراء المضلة ليحفظ عقله ودينه من فساد المفسدين وضلال المضلين، قال الله تعالى: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» [النساء: ١٤٠]، كما أمَّن الإسلام المال الذي جعله قيامًا لحياة بني الإنسان ومعيشتهم وحرَّم الاعتداء عليهم، أو التعامل فيه بالباطل، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩]، كما أمَّن المجتمع من أسباب الفوضى والشقاق والنزاع، فأوجب طاعة ولاة الأمور في المعروف، وذلك لاستتباب الأمن واستقرار المجتمع من أسباب الفوضى والشقاق والنزاع، فأوجب طاعة ولاة الأمور في الأمور في المعروف، وذلك لاستتباب الأمن واستقرار البلاد والعباد، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ» [النساء: ٥٩]، إذ بالولاة- بفضل الله- تحقن الدماء وتصان الأعراض، كما أمَّن الإسلام المجتمع من المنكرات، فنهى عن إشاعة الفاحشة حتى تنطفئ ولا تظهر، قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النور: ١٩]، كما حذر المنافقين من الثرثرة بالكلام والإرجاف، فقال الله تعالى: «لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» [الأحزاب: ٦٠]. أسأل الله تعالى أن يسلمنا وبلادنا من كل سوء ومكروه، وأن يبسط الأمن وينشره في البلاد والعباد، وأن يجنبنا الفتن والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

ولأهمية الأمن في دنيا الناس سلكت الشريعة مسالك متعددة لتحقيق ذلك في المجتمع ، ومن هذا وجوب طاعة أولياء الأمور في المعروف ؛ فبهم تُحقن الدماء وتُصان الأعراض.



كونوا واحدًا لا اثنين.. فالفتنة لا تُبقي ولا تذر!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، أحاط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، وبعدُ:

فإن الله سبحانه قد جعل البلاء والمصائب اختبارًا وامتحانًا وتمحيصًا للناس، قال سبحانه: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٥- ١٥٧]، وقال جل وعلا: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » [الأنبياء: ٣٥]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [أخرجه البخاري ومسلم].

فاتقوا فتنة لا تبقي ولا تذر!! فمعظم النار من مستصغر الشرر!!

أين حرمة الدماء؟!

المشهد عصيب، فلا زالت الدماء تسيل، والأرواح تُزهق على أرض الكنانة أرض مصر المباركة، إنها دماء مصر في كل مكان، لا إله إلا الله، إنها فتن كقطع الليل المظلم، لا شك ولا ريب كل فتنة أرقّ وأهون من التي قبلها، فتن قسمت الناس، وجعلتهم فِرَقًا وأحزابًا، قست القلوب، وتعطلت العقول، وأزهقت الأرواح، ودخلت البلاد في مرحلة ينظر إليها القاصي والداني بعين العطف والشفقة، أتلك هي مصر؟ وهؤلاء هم أبناؤها؟!

وخيم الحزن على الجميع وهم يرون دماء المصريين صارت رخيصة بين أبنائها، وقد نسوا قول الله عز وجل: « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار» [أخرجه الترمذي ١٣٨٩ وصححه الألباني].

وهذا يوضح بشاعة عقوبة قتل المؤمن بغير حق لكل من كان مشاركًا في هذا الجرم البشع، وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى أن المؤمن يظل في سعة من دينه، وينتفع بصالح الأعمال حتى إذا أوبق نفسه بالقتل المحرم ذهبت تلك السعة، وضاقت عليه صالح أعماله، فلم يفِ بهذا الوزر العظيم، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال المؤمن في فُسْحَة من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا» [صحيح البخاري ٦٨٦٢].

وشدد الله سبحانه في عقوبة مَن يعيث في الأرض فسادًا بقطع الطريق وترويع الآمنين وسرقتهم وقتلهم، فقال سبحانه: « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

﴿ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [المائدة: ٣٣].

تجردوا لله يصلح ذات بينكم

يا أبناء مصر: تجردوا لله عسى أن يمحو الله الخطايا ويغفر الذنوب، ويؤلف القلوب، ويصلح ذات البين، واصبروا على أمر قد يسوءكم عسى الله أن يبدلنا بعد الضيق فرجًا، وبعد العُسر يُسرًا، وبعد الهوان عزة، وبعد التفرق تجمعًا يوثقه رباط الدم المصري، الدم الذي هان بيننا، وتقطعت أمامه أشلاءنا، بأيدي بعضنا، ومُثل بالجثث ومنهم من أحرق، فإلى الله المشتكى!!

ومع ذلك فالرجاء عظيم في الله سبحانه أن يعز كل مظلوم وينصره، وينتقم من كل مَن أضمر سوء أو كُرهًا وحقدًا على مصر وأهلها، أو تسبب في إيذائهم، انظروا إلى ما خلفته الأيام الماضية!! فقد هان الأخ على أخيه، وسالت الدماء، وأصبحنا في الشوارع والميادين وكأننا في موقعة حربية، تاهت معها العقول، وظمئت النفوس، وخيم الحزن على الصدور، فما هذه هي مصر، ولا هؤلاء هم شعبها، فماذا حدث؟! فلنفق قبل فوات الأوان، فالمصاب جلل، والفتنة لا تبقي ولا تذر!

قست القلوب وتعطلت المشاعر

عذرًا إلى ربنا، فقد قست القلوب، وما زالت تُقامر نزعة الشهوة، والأرواح تنازع توبة الحسرة، والعقولُ مغيَّبةٌ عن إدراك الحقيقة، أحسنَ اللهَ عَزَاءكم وَغفرَ لميِّتكم، عَزَاءنَا في لحَظات فتنَت أمامنَا، فنَكَصْنَا على أدْبَارنا، وأبَيْنا سوى المُكث في مَغَبَّة الدنيا الفانية، وعُمِّيَت علينا الأنبَاءُ، وأطرَقَت الشهوات في جدران الأذهَان، وبين رَدَهات العُقول المقتولة، «حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا» الآية [يونس: ٢٤].

عزاءنا في عيون أجْدَبَت من دمُوع الحيَاة، وَأقفرَتْ من ترْيَاق القلوب، فيا من تعطلت مشاعرهم، فما زال الذنبُ يلازم نفوسنا التي أقمنَا عليها مراسم الدَّفن، والذل يُطْبق فكَّه على هممنا الواهية، وآمالنا الكاذبة، أزِفَ الرَّحيل: وقد عميَت البَصَائرُ عن التحصيل، وَأبَتْ إلا القليل، واحسرتنا على ما فرطنا في جنب الله، فلا الدهر يعظك، ولا الأيَّام تنذرك، والساعات تعدّ عليك، والأنفاس تعدّ منك.

يا ابن آدم: لو رأيت ما بقي من أجلك، لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، وإنما يلقاك ندمك إذا زلّت قدمك، وأسلَمَكَ أهلُك وحشمك، وباعَدَك الولدُ القريب ورفضَك الولدُ والنَّسيب، فلا أنت إلى دنياكَ عَائد ولا في حسناتك زَائد، لله درُّ أقوام أطارَ ذكرَ النَّار عنهم النَّوم، فقد قست القلوب وصارت كالحجارة أو أشد قسوة، والله سبحانه قد توعد أصحاب القلوب القاسية، فقال عز وجل: «فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» [الزمر: ٢٢].

عتاد الشدائد الصبر

كونوا واحدًا لا اثنين، فأنتم أهل مصر، وأنتم شعبها، ولكل أمر عتاد وسلاح، وإن عتاد الشدائد الصبر، عتادٌ يبعث على الطمأنينة، ترقب به النفس المؤمنة بلوغ الأماني، وقد أصبحنا قومًا أذلة بعد عزة، إنها مصر وأنتم أبناؤها، فهل تستحق منكم مصر كل هذا الحمق؟! هل تستحق منكم كل هذه القسوة؟! وقد ابتلينا بفتن ما أنزل الله بها من سلطان، فاحذروا الفتنة فإنها لا تبقي ولا تذر!!

هل تستحق منكم مصر كل هذا التجبر والعدوان؟! هُنَّا على أنفسنا فَهُنَّا على غيرنا، وأصبحنا كلأً مباحًا مستباحًا من الجميع، أصبحنا ضعافًا بعد قوة، يكيل لنا الأعداء ما أضمروه في نفوسهم الخبيثة، ينتظر العدو لحظة ضعف وفرقة وهو يرى ضعفنا بعد عزتنا وقوتنا!! فهلا نصبر على بعضنا؟! فهلا نزيل الشحناء من نفوسنا؟! والبغضاء من قلوبنا، ونرجع إلى الله فنطلب منه

> يا أبناء مصر: تجردوا لله عسى أن يمحو الله الخطايا ويغفر الذنوب، ويؤلف القلوب، ويصلح ذات البين، واصبروا على أمر قد يسوءكم عسى الله أن يبدلنا بعد الضيق فرجا، وبعد العسر يسرا، وبعد الهوان عزة، وبعد التفرق تجمعا .

> **ما أحوج الأمة في زمن مُيعت فيه الحقائق الشرعية، وضُيعت فيه الثوابت المرعية، إلى تصدر العلماء الربانيين للمشهد كله، وأن يتقوا الله، ويقولوا كلمة الحق بعد دراسة ومراجعة لنصوص الكتاب والسنة، لتفهم الأمة جذور المشكلات وأسباب الويلات، وتقرأ المتغيرات، وتدفع المستجدات.**

العفو على ما جنت أيدينا، فما نحن فيه ما هو إلا نتاج أعمالنا، فهو من عند أنفسنا، وبما كسبت أيدينا وما يعفو الله عنه أكثر، يتساوى في ذلك الحاكم والمحكوم، الصغير والكبير.

نقول هذا قبل أن ينفخ الخبثاء والمتربصين بمصر وأهلها، وأذيالهم في الخارج، في نار الفتنة، فتزداد اشتعالاً، وتنقطع الأوصال، وتغلظ القلوب، فانتبهوا واحذروا وكونوا واحدًا لا اثنين فالفتنة لا تبقي ولا تذر!!

حاسبوا أنفسكم فالنار تحت الرماد!

حاسبوا أنفسكم، وكونوا واحدًا لا اثنين، فأنتم أهل مصر وشعبها، والدنيا حقيرة زائلة، ندعو الله ألا تكون أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، والمصاب جلل، والأمر جد خطير، وقوى الحقد والشر تتجمع على مصر فجأة حتى اختلط الحابل بالنابل، فليتجرد كل إنسان من عصبيته، للدفاع عن تراب هذا الوطن، ندفع عنه الأخطار، ونقطع يد كل من تُسول له نفسه أن يتدخل في شئون مصر، ويقلب الأوضاع الدولية عليها، أملاً في تفتيتها، وهدم كيانها، وتفكيك جيشها؛ إرضاءً لأطماعهم، وتنفيذًا لمؤامراتهم، إنها مصر فلا تنزلقوا وتقعوا في شراك الكائدين من المتربصين بالوطن، ينشرون الفتن بينكم، فيزيدون من تقسيمكم وتفتيتكم، فاصبروا واثبتوا، فأنتم شعب مصر، ومصر هي المستهدفة، والحلال بيِّن والحرام بيِّن.

وكل من راقب ربه في نفسه ومن حوله واستحضر خشية الله سبحانه، وحاسب نفسه وألزمها بما يقربه إلى الله، ويباعده من الذنوب والآثام صلح باله، وحسُن حاله ومآله، وصدق الله: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» [النازعات: ٤٠- ٤١]. فاحذروا الفتنة وانتبهوا فالفتنة لا تبقي ولا تذر!!

ضرورة الإصلاح بين المسلمين

كونوا واحدًا لا اثنين، فمهما حاول أعداء الإسلام ومهما سعوا في نشر أنواع الفتن والشر بين المسلمين، فلن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله، يقول جل جلاله: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [الصف: ٨]، وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر». [أخرجه أحمد والبيهقي وصححه الحاكم والألباني].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها». [أخرجه مسلم في صحيحه].

ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». [أخرجه البخاري ومسلم].

ما أحوج الأمة في زمن مُيِّعت فيه الحقائق الشرعية، وضُيِّعت فيه الثوابت المرعية في مسارات فكرية مسمومة، ومصطلحات شيطانية مذمومة، واجتهادات عقيمة، وآراء سقيمة لا تتفق مع الدين الحنيف، ولا مع العقل الحصيف، ما أحوجها في هذا الوقت إلى تصدُّر العلماء الربانيين للمشهد كله، وأن يتقوا الله، ويقولوا قولة الحق بعد دراسة وتمحيص، ومراجعة وإتقان، ومراجعة لنصوص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة في قضاياها ومشكلاتها المعاصرة، لتفهم الأمة جذور المشكلات وأسباب الويلات والنكبات، وتقرأ المتغيرات، وتدفع المستجدات، وترجع إلى أهل العلم الثقات، وتنهض بالمسئوليات والواجبات، بصدق لا يشوبه كذب، وإخلاص لا يخالطه رياء، وتجرد لا يتخلله هوى، وتوحيد لله لا يُكدره شرك ولا شك، وثقةٌ به جل في علاه لا تهزها أراجيف المرجفين، ولا تخذيل المخذلين، حتى لا تواقع الأمة

الأمر المحظور، يقول جل وعلا: « وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا » [النساء: ٨٣].

إن الواجب إزاء ما يقع على أرض مصر من البلايا والرزايا أن يقوى تازر أهلها ويشتد تناصرهم؛ لنصرة دينهم وحماية بلادهم، وأن يكونوا صفا واحدًا متعاضدين متساندين، متعاونين على البر والتقوى، متناهين عن الإثم والعدوان، نابذين العداء والبغضاء؛ حتى يفوّتوا على العدو فرصته، وبغيته في زرع بذور التمزق وجذور التفرق، قال تعالى: « وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » [الأنفال: ٤٦]. وفي صحيح الإمام مسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». [مسلم ح رقم ٣٢٣٦]. فاحذروا واتقوا فتنة لا تبقي ولا تذر.

إلى لجنة الدستور المعينة!!

كونوا واحدًا لا اثنين، فأنتم ممثلون لضمير الأمة فيما قد اؤتمنتم عليه من تكليف، بإعادة صياغة بعض مواد دستور مصر، وإننا لنرجو بإذن الله أن تكونوا متجردين تبذلون كل ما في وسعكم لتأكيد الهوية الإسلامية والثوابت الوطنية لمصر في الدستور، وتصحيح ما يجب تصحيحه، وابذلوا في ذلك ما ترضون به ربكم، وتحافظون به على هوية بلدكم وانتماء شعبكم، ونحسبكم إن شاء من الحريصين على الحفاظ على تلك الهوية، وإن مصر تحتاج في المرحلة الحالية إلى جهود المخلصين من أبنائها، وأصحاب الضمائر الحية والقلوب العامرة، التي تعلم أنها ستقف يومًا بين يدي الواحد القهار الحكم العدل العليم، فقدموا ذاك المنهج الذي ارتضاه لنا الله رب العالمين.

والمرجو من الجميع أن يكونوا صفًا واحدًا، فكفانا تشرذمًا وتمزقًا؛ وإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته وحده، قال سبحانه: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات: ٥٦]، وشرع للناس دينًا كاملًا أتمه ورضيه، وأنزل كتابًا ليحكم بين الناس به، فلا حكم للبشر إلا بشريعة خالقهم سبحانه القائل: « وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ » [المائدة: ٤٩]، ووصف ربنا كل حكم يخالف حكمه بأنه حكم الجاهلية، فقال جل وعلا: « أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ » [المائدة: ٥٠]، وأكد سبحانه ذلك بقوله: «إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ » [يوسف: ٤٠].

ونفى الله عز وجل الإيمان عن كل مَن لم يحكم بما أنزل الله وبسنة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥]، ندعو الله سبحانه أن يوفق الجميع حكاما ومحكومين لما فيه خير البلاد والعباد.

وفي النهاية أقول كما قال القائل:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا عُدتي في كل نائبة
ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
مالي على حملها صبرٌ ولا جلدُ
وقد مددت يدي بالذل مبتهلا
إليك يا خير من مُدتْ إليه يد
فلا تردنَّها يا رب خائبة
فبحر جودك يروي كل ما يردُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إن الواجب إزاء ما يقع على أرض مصر من البلايا والرزايا أن يقوى تازر أهلها ويشتد تناصرهم؛ لنصرة دينهم وحماية بلادهم، وأن يكونوا صفا واحدًا متعاضدين متساندين، متعاونين على البر والتقوى، متناهين عن الإثم والعدوان، نابذين العداء والبغضاء.

تفسير سورة غافر

الحلقة الخامسة

قال تعالى: « فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ
(٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
الْعَذَابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ
لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ
رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)
إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ
الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم
بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » [غافر: ٤٥- ٥٧]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

جزاء الناصحين:

« فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ » [غافر: ٤٣]، وقال تعالى: « وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ » [فاطر: ١٠].

ثم فسر الله تعالى سوء العذاب الذي حاق بهم فقال: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا»، أغرقهم الله في البحر، ثم عذبهم في النار، كما فعل بقوم نوح، «مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا» [نوح: ٢٥].

وفي الحديث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه.

نعيم القبر وعذابه حق:

وهذه الآية من الآيات التي يستدل بها على أن

عذاب القبر حق، لأن الله تعالى قال: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ». فالنار التي يعرضون عليها قبل يوم القيامة هي نار القبر، ومذهب أهل السنة والجماعة أن القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، وأن نعيم القبر وعذابه حق، وكلاهما يكون للروح والبدن معا، والله على كل شيء قدير.

والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في نعيم القبر وعذابه كثيرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» متفق عليه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ). ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا يَا رَسُولَ الله، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا) متفق عليه.

«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»: «أَدْخِلُوا» بفتح الهمزة، على الخطاب لزبانية النار، وقرئت بضمها «أُدْخُلُوا» على الخطاب لآل فرعون، فلما دخلوها تبرأ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضا.

عليه السلام صلى الله عليه وسلم «وَإِذْ
يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ
عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ
فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ
الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
(٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ
اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى
وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى
لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ
لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ
إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)
إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يُؤْمِنُونَ» [غافر: ٤٧– ٥٩].

تخاصم أهل النار:

«وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ»: المحاجة المخاصمة، وتبادل السباب واللعان والشتائم، «فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ» الذين كفروا تقليدا «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» يعنون قد كفرنا برسل الله طاعة لكم، واتبعناكم على الكفر الذي دعوتمونا إليه، «فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ»، لأنكم كنتم السبب في دخولها؟ «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ»، وقد قضى سبحانه أن نكون فيها أجمعون.

وفي سورة إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى في تخاصم أهل النار: «وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ» [إبراهيم: ٢١]، ثم قام الشيطان الأكبر الذي أضل الجميع: المستكبرين والضعفاء، فتبرأ منهم أجمعين: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [إبراهيم: ٢٢].

فلما يئس بعضهم من بعض توجهوا بالسؤال لخزنة النار أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب: «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ»، وكان هذا السؤال منهم بعد سؤالهم مالكا كبير خزنة النار أن يقضي الله عليهم بالموت فيستريحوا من العذاب، كما قال تعالى: «وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أي ليمتنا فنستريح، فأجابهم: «قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ» [الزخرف: ٧٧]، لا تموتون ولا تخرجون، كما قال

تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ» [فاطر: ٣٦]، فلما يئسوا من الخروج تمنوا يوما يخفف عنهم العذاب فيه، وسألوا خزنة النار أن يشفعوا لهم، فأجابوهم: «قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا»، ثم أعلموهم ابتداء أنه لا فائدة من دعائهم، فقالوا: «وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ».

والعاقبة للمتقين:

ثم بين الله تعالى حال الرسل وأتباعهم المؤمنين، بعدما بين حال أعداء الرسل ومكذبيهم، فقال تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»: فمهما علا الباطل وارتفع فلا بد أن يقع، والعاقبة للمتقين، كما وعد رب العالمين: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» [الصافات: ١٧١- ١٧٣]، وقال تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» [الأنبياء: ١٠٥]، فالصراع قائم بين الحق والباطل، والأيام دول، ولكن العاقبة للحق وأهله، كما قال تعالى:«وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» [الأنفال: ٧- ٨]، ولذلك لما دالت الدولة على المسلمين يوم أحد، وفرح المشركون، وقال المنافقون: لو كان المسلمون على الحق ما غلبوا، قال الله تعالى: «قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» [آل عمران: ١٣٧].

قال أبو جعفر- رَحِمَهُ اللهُ-: يعني بقوله تعالى ذكره: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم، يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به، من نحو قوم عاد وثمود، وقوم هود وقوم لوط، وغيرهم من سُلاف الأمم قبلكم، «سُنَنٌ» يعني: مثلات، سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهل التكذيب بهم، واستدراجي إياهم، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجّلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم، ثم أحللت بهم عقوبتي، وأنزلتُ بساحتهم نقمي، فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرًا، «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ»، يقول: فسيروا - أيها الظانّون، أنّ إدالتي مَنْ أدلت من أهل الشرك يوم أحُد على محمد وأصحابه، لغير استدراج مني لمن أشرك بي، وكفر برسلي، وخالف أمري - في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم، ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي، والجاحدون وحدانيتي، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، وما الذي آل إليه غبُّ خلافهم أمري، وإنكارهم وحدانيتي، فتعلموا عند ذلك أنّ إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد، إنما هي استدراج وإمهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم. ثم إما أن يؤول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم: من تعجيل العقوبة عليهم، أو ينيبوا إلى طاعتي واتباع رسولي. [جامع البيان(٤/ ٩٩)].

ثم بين سبحانه أن الكافرين سيندمون يوم القيامة، وسيعتذرون إلى ربهم عن كفرهم، ولكن لن ينفعهم الندم، ولن يقبل منهم العذر، فقال تعالى: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ».

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: «هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» [المرسلات: ٣٥- ٣٦]، فالآية الأولى دلت على أنهم يعتذرون، ولكن لا ينفعهم، وهذه دلت على أنه لا يؤذن لهم أصلا في الاعتذار؟!

فالجواب: أن يوم القيامة يوم طويل،مقداره خمسون ألف سنة ، وقد قال تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» [الانشقاق: ١٦]، والمعنى أنهم ينتقلون من موقف إلى موقف، ومن مشهد إلى مشهد، ومن مكان إلى مكان، ففي موقف يريدون أن يعتذروا فلا يؤذن لهم، وفي موقف يؤذن لهم في الاعتذار ولا يقبل منهم ولا ينفعهم، «وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ» وهي الطرد من رحمة الله، «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»، «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [إبراهيم: ٣٩]، كما قال عباد الرحمن: «رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» [الفرقان: ٦٥- ٦٦].

ثم يسلي الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتذكيره ما كان من نبأ أخيه موسى عليه السلام، وكيف نجاه الله تعالى وأهلك أعداءه، فيقول سبحانه:«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى» وهو التوراة، «وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» وهو التوراة، أبقاها الله في بني إسرائيل يتوارثونها جيلا بعد جيل، كما قال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ » [المائدة: ٤٤]، وقال هنا: «هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ»، فخص أولي الألباب بالهدى والذكرى لأنهم الذين يتذكرون ويهتدون، أما الملأ من قوم فرعون فقد كذبوا بالحق لما جاءهم، «فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ » [غافر: ٢١].

«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» وسينصرك على قومك، كما نُصر موسى على فرعون وقومه، واستعن على الصبر بالاستغفار والتسبيح والتحميد، «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ» فليس شيء يعين على الصبر مثل الذكر.

«إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ»: جملة«بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ» جاءت من أجل الذم، لأن الجدال بالحجة والبرهان، وبالتي هي أحسن، مباح، أما الجدال من غير حجة ولا برهان، فهو جدال مذموم، لا يريد صاحبه إلا إبطال الحق، لما في صدره من الكبر، ولكن الله حائل بينه وبين ما يريد، كما قال تعالى: «إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ»، فحب العلو والظهور، وأن يكون هو الذي هنا وهناك، يقول فيسمع له، ويأمر فيطاع، منعه من اتباع الرسل على ما جاءوا به من عند الله، ولكنه لن يبلغ مراده، لأن من سنة الله أن يرفع المتواضعين، ويضع المستكبرين.

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ بالله من شر المستكبرين،كما استعاذ موسى من قبل، فقال تعالى: «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» يعذك، «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» لكل المسموعات، وهو «الْبَصِيرُ» بكل المخلوقات، فلا تخفى عليه خافية، قولا كانت أو فعلا.

من دلائل التوحيد والبعث:

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى دليلا من دلائل التوحيد، وهو أيضا من دلائل البعث، فقال تعالى: «(١٠) فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ»:فالله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض، ولم يكن له شريك في الخلق، فيجب أن يعبد وحده، ولا يشرك بعبادته أحد، لأن الشرك تسوية للمخلوق بالخالق، وهي ظلم وجور، « أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ » [النحل: ١٧]، فانفراده سبحانه بالخلق يوجب إفراده بالعبادة، ولذلك أنكر على الذين سووا غيره به في العبادة، مع اعترافهم بانفراده بالخلق، فقال سبحانه: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ » [الأنعام: ١]، وقال سبحانه: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا » [الفرقان: ١ - ٣]، وأخبر سبحانه أنهم سيندمون على هذه التسوية، فقال: « وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ » [الشعراء: ٩١ - ١٠٤].

فخلق السموات والأرض دليل على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وهو أيضا دليل على أن الله يحي الموتى، ويبعث من في القبور، فالذي خلق السموات والأرض، وهن أكبر من خلق الناس، لا يعجز عن إعادة الناس بعد موتهم، ولذلك قال للمنكرين البعث: «ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا » [النازعات: ٢٧]، والمعنى أن السموات أكبر وأشد من الإنسان، والله بناها، فكيف تظنون أنه يعجز عن إعادتكم بعد موتكم وهذه مظاهر قدرته بادية لكم.

وقد تكرر في القرآن الكريم الاستدلال بخلق السموات والأرض على بعث الناس بعد موتهم:

قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا » [الإسراء: ٩٩]، وقال تعالى: « أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ » [يس: ٨١]، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» [الأحقاف: ٣٣].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



باب
الاقتصاد الإسلامي

حكم أعمال البورصة

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. علي السالوس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

تحدثنا في العدد الماضي عن كيفية الشراء في البورصة، وعن صور التعامل في البورصة، وعن المرابحة في البورصة، .....:

ويذكرون مما يحدث أشياء عجيبة، يذكرون أشياء وحيلاً يلجأ إليها هؤلاء أحياناً للتلاعب بالأسعار، ولذلك فإن الأسواق المالية هذه لا يجوز لمسلم أن يدخلها بائعًا أو مشتريًا؛ إلا إذا كان يريد بالفعل أن يشتري أسهمًا إسلامية، وأن يتسلم الأسهم، ويدفع الثمن، أو يدفع الثمن ويتحدد موعد الأسهم، أما بيع الدَّيْن بالدَّيْن فلا يجوز.

وهنا كذلك: إذا كانت الأسهم تمثل نقودًا فمن شروط بيع النقود بعضها ببعض- وهو ما يسمى بالصرف في الفقه الإسلام- التقابض في المجلس، فلا يجوز التأجيل.

وأما بورصة السلع فلها نفس العمليات التي قلناها هناك، وأحيانًا يقوم بعمليات مركبة؛ فعالم البورصة هذا عالم عجيب؛ لأنه كما قلنا نشأ بعيدًا عن حضانة الإسلام، وعن أحكام الإسلام.

وهناك أنواع من البورصات تبيع سلعًا حاضرة بحيث إن الإنسان يشتري وتسلم السلعة ويدفع الثمن، لا شيء في هذا، ومن قبل قامت بورصات فعلاً بهذا مثل بورصة ميناء البصل، وبورصات معينة كانت تقوم بهذا البيع فعلاً، وتيسر البيع والشراء؛ لأن الكميات كبيرة فيمكن شراء كميات كبيرة أو بيع كمية كبيرة، أو جمع كمية كبيرة وبيعها ما دام الاتجاه للشراء الفعلي.

ولو فرضنا أنه اشترى معادن بالأجل، وتسلم المعادن والثمن مؤجل، أو باع المعادن والثمن مؤجل «بيع آجل»، أو تسلم الثمن والمعادن مؤجلة «بيع سلم» ، هل هذا حلال أم حرام؟

قلنا: إنه يوجد في الفقه بيع آجل وسَلَم، وتبعًا للبيع الآجل فإن هذا ممكن، وتبعًا للسلم هذا أيضًا ممكن، ولكن يبقى هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُر بالبُر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح، يدًا بيد، سواء بسواء، مثلاً بمثل، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء» متفق عليه.

معنى هذا أن تبادل ذهب بذهب لابد أن يكون بنفس الوزن، والنقود كذلك تلحق بالذهب والفضة، ولذلك قلنا بأنه أصبح عندنا الآن أجناس كثيرة، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان هناك جنسان: جنس الذهب وجنس الفضة، أما في هذه الأيام فإننا نجد الفضة والذهب والعملات الورقية، كل دولة لها عملة، وكل عملة تعتبر جنسًا، فريال قطر جنس، ودرهم الإمارات جنس، والريال السعودي جنس، وهكذا، فيمكن التبادل «إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يدًا بيد».

وقول سيدنا عمر رضي الله عنه بأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الذهب بالذهب، الوَرِق بالورق- العملة الفضية- ربا إلا هاء وهاء». أي: خذ وهات[البخاري٣/٧٤].

ولذلك كانت الفتوى الإجماعية للمؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي بأنه لا يجوز بيع الذهب والفضة والنقود الورقية بعضها ببعض إلا مع التقابض الفوري، وأن البيع الآجل هو الربا المحرم.

ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نشتري سلعًا، والسلعة ستتأجل، أو الثمن سيتأجل، فإن هذا يمكن في غير الذهب والفضة، ولكن

وجدنا في عصرنا من الباحثين المسلمين من قال بأن الذهب كما يجوز أن تشتريه وتقبضه يجوز مع الأجل! لماذا؟

قال: بالنسبة للذهب، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل القبض يدًا بيد في البيع لأنه كان ثمنًا، والعلة هي الثمن، والأثمان في عصرنا هي النقود الورقية لا الذهب.

ولتوضيح ما يتصل بالعملة في الذهب أقول: إن الفقهاء اختلفوا في التعليل، فبعضهم قال: العلة الوزن، وقال كل ما يوزن لا بد أن يكون فيه التقابض في المجلس، فيلحق بالذهب النحاس والرصاص والحديد وغير ذلك مما يوزن، وبعضهم قال: العلة الثمنية، والفقهاء الذين قالوا بالثمنية قالوا بأن هذه العلة قاصرة، ومعنى قاصرة أنها لا تتعدى الذهب والفضة، بمعنى أن هذا الحكم قاصر على الذهب والفضة.

ولماذا إذن أدخلنا النقود؟ قالوا: ربما شارك الأصل شيء فيلحق به، ولذلك فإن المالكية قالوا بالعلة القاصرة، فلما ظهرت في عصرهم النقود النحاسية وراجت وأصبحت نقودًا، قال الإمام مالك قوله المشهور: «لو أن الناس اتخذوا الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والوَرق نظرة» يعني أكره أن تباع بالذهب والوَرق مع التأجيل، والكراهة إذا أطلقت عند الأقدمين فقد تعني التحريم.

فالجلود ذاتها لا تلحق بالذهب والفضة، ولكنها إذا أصبحت نقودًا ألحقت بالذهب والفضة، وكذا الورق الآن لا يلحق بالذهب والفضة، فإذا أصبح ريالات قطرية أو سعودية أو غيرها ألحق بالذهب والفضة، لا لأنه ورق ولكن لأنه نقود، أما الذهب والفضة فالحكم باقٍ بالنسبة لهما سواء أكانا نقودًا أم غير نقود.

ومن المعلوم في أصول الفقه أننا عندما نبحث عن العلة للقياس، فإنها إذا وجدت في فرع ألحقناه بالأصل قياسًا عليه، أما الأصل فهو ثابت بالنص لا بالاجتهاد، وعلى أي حال فقد ثبت بالنص والإجماع مدة أربعة عشر قرنًا على أنه لا يجوز التأجيل أبدًا بالنسبة للذهب والفضة.

وبعض الاقتصاديين أيضًا أفتوا بجواز التأجيل، فقالوا: لم تعد هناك علاقة بين الذهب وبين النقود بعد أن ترك الدولار القاعدة الذهبية منذ عام ١٩٧٢م فأصبح الذهب ليس ثمنًا، فما دام الدولار تخلى عن الذهب، فلم يعد الذهب نقدًا ولا ثمنًا، إنما أصبح سلعة كأي سلعة.

وهذا القول لا يصح فقهًا ولا اقتصادًا:

فمن الناحية الفقهية لا يجوز الخروج على النص والإجماع، لا يجوز أبدًا، ومسألة العلة إنما هي للإلحاق لا لإخراج الأصل وإدخال الفرع، فالعلة إذا وجدت في حكم لم ينص عليه فهل نلحقه بحكم المنصوص عليه، ونخرج الحكم المنصوص عليه؟ كيف هذا؟ فقهًا كيف هذا؟

وأما من الناحية الاقتصادية فبعض الاقتصاديين الذين لم يتحرجوا عن التصدي للإفتاء، والقول بعلم أو بغير علم، قالوا: الذهب الآن يباح أن يباع مع التأجيل؛ لأنه سلعة بعيدة عن الثمنية، وإذا بحثنا وجدنا هذا القول- الذي لا يصح فقهًا- غير صحيح من الناحية الاقتصادية.

عندما يقول الاقتصادي هذا ألا يعلم مثلاً أن صندوق النقد الدولي يشترط بالنسبة لحصص الأعضاء أن يكون الربح من الذهب الخالص والباقي بالعملية المحلية؟ وأن هناك هيئات دولية كثيرة تشترط مثل هذا الشرط، حتى أوروبا الشرقية عندما ارتبطت بالروبل ربطته بالذهب وقدرته به، وإلى جانب صندوق النقد الدولي نجد بنك التنمية الآسيوي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وهيئات التنمية الدولية، والبنك الدولي للتعاون الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية، كل هؤلاء يشترطون جزءًا معينًا من الذهب، والفرق بين الذهب وباقي العملة أن العضو المشترك في صندوق النقد الدولي له أن يأخذ

قروضًا ميسرة مثل نصيبه من الذهب، وإن زاد على النصيب من الذهب يأخذ بالقروض التي يقرضها البنك.

إذن أيهما أكثر ثمنية ونقدية: الذهب أم النقود الإلزامية؟ ولو أن أي واحد منا عرض عليه أو على أي دولة ذهب أو نقود ورقية فأيهما يفضل؟ ولو أن النقود الورقية لم تكن إلزامية من كان يأخذها؟ فكيف إذن أخرجت الذهب وهو الأصل؟

ولذلك أعجبني هذا الإعلان عن شركة إسلامية قامت لإعادة التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي، وأرباح المشتركين ستكون بالدينار الذهبي والدرهم الفضي.

وأذكر هؤلاء الاقتصاديين بأن كثيرًا من بلاد العالم تحتفظ بأرصدة ذهبية بنسبة معينة من قيمة عملتها.

وأذكر للاقتصاديين والفقهاء أيضًا أنه في وقت ما كانت قاعدة المدفوعات في مصر بالنحاس، بحيث كان الذهب يقوَّم بالنحاس، العملة كانت نحاسية في وقت من الأوقات، ومن كان عنده ذهب أو عملة ذهبية فإن قدر العملة يقدر بالنسبة للنحاس، وخسر الناس وقتها كثيرًا لأن النحاس أصبح هو القاعدة، فقد كان من يملك نحاسًا أفضل ممن يملك ذهبًا، ومع هذا ما وجدنا فقيهًا يقول: أخرجوا الذهب من النص وأدخلوا النحاس، وما وجدنا هذا، ولم يدم ذلك طويلاً حتى عاد الذهب إلى وضعه الطبيعي مرة أخرى.

ولو فرضنا أن الذهب لا يعود فعندنا نص وإجماع، لا نستطيع أن نخرج على النص ولا على الإجماع إطلاقًا.

وعلى الاقتصاديين أن يتوقفوا عن الإفتاء، وعلى الفقهاء الذين أفتوا أن يبحثوا الجانب الاقتصادي بحثًا دقيقًا، ثم عليهم أيضًا ألا يخرجوا على إجماع أو على نص.

ونحمد الله أن الفتوى التي صدرت في المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي صدرت بالإجماع، مع أن هناك من حاول أن يثير مسألة الذهب وأنه أصبح سلعة عادية، وبمناقشته هو نفسه رجع عن رأيه وصوت مع الباقين على هذا القرار، فعلى من قال بهذا أن يرجع إن لم يكن قد رجع؛ لأن هذه قضية خطيرة.



بعد هذا العرض السريع أقول:

إذا دخلنا في بورصة سلع لنشتري، فلنشتر بالسعر الحال، أما أن تشتري في موعد التصفية ولا سلعة تقبض، ولا ثمن يقبض هذا لا يبيحه الإسلام، وعلى هذا فلو أصبح في مقدورنا كمسلمين- ونحن نمثل أكثر من خمس العالم- لو أصبح في مقدورنا أن ننشئ بورصة إسلامية- سوقًا إسلامية- لاستطعنا أن ننشئها كما كانت في الإسلام، في ظل عقود المعاملات في الفقه الإسلامي، ولا نتخطى هذه العقود.

وأوضح مثل على هذا أننا عندما وجدنا المسلمين يخرجون على هذه القاعدة، ويسايرون غيرهم، ويتعاملون بمثل هذا التعامل غير الشرعي، في دولة شقيقة- وهي الكويت- وجدنا الكارثة التي حدثت في سوق المناخ: ربا وميسر، معاملات إذا أردنا أن نقومها فهي مجموعة من الربا والميسر، إلى أن تدخلت الدولة، واهتز الاقتصاد هناك، ثم لا تزال تعالج وتعاني من هذا.

إننا نحن المسلمين لا حياة لنا إلا إذا تمسكنا بكتاب ربنا عز وجل ، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وآمنا أننا لا يمكن أن ننجح إلا إذا تعاملنا كمسلمين: في الحرب، في السلم، في أي مجال، نقود الحرب كمسلمين، نبيع كمسلمين، نشتري كمسلمين، وإلا فلا خير فينا ولا في أموالنا.

نسأل الله تعالى أن يزكي نفوسنا، وأن يزكي أموالنا، وأن يقنعنا بالحلال ويغنينا به، وأن يجنبنا الحرام ويبعده عنا ويبعدنا عنه، هو نعم المولى ونعيم النصير، والحمد لله رب العالمين.

في ديننا اليسر

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال: «حدثنا عبد السلام بن مطهر قال: حدثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

أولاً: التخريج

(صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١ / ٢٣)، ط٣/دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا).

(سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الإيمان وشرائعه، باب الحياء، (٨ / ١٢١)، ط٢/مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)، وزاد النسائي: ويسروا.

(صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، (٢ / ٦٣)، ط٢/مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناءوط).

(شعب الإيمان للبيهقي (٣/٤٠١) (رقم ٣٨٨١)، ط١/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول).

(مسند الشهاب لأبي عبد الله القضاعي (٢ / ١٠٤) (رقم٩٧٦)، ط٢/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي).

فائدة على التخريج:

تفرد البخاري دون مسلم بتخريج هذا الحديث، وأخرج مسلم طرفًا منه بسنده عن أبي هريرة رفعه: « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِه. قالوا: يا رَسُول اللَّه ولا أنت؟ قال: وَلا أنَا، إلاَ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِرَحْمَةٍ منه وَفضْل »

ثانيًا: رجال الإسناد

وهم خمسة:

الأول: عبد السلام بن مطهر الأزدي البصري، روى عن شعبة وجرير بن حازم، وروى عنه البخاري وأبو داود وغيرهما، ثقة توفي ٢٢٤. (انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله الذهبي

الثاني: عمر بن علي بن عطاء، بصري أصله واسطي، ثقة وكان يدلس تدليسا شديدًا، من الثامنة، مات سنة تسعين وقيل بعدها. (تقريب التهذيب لابن حجر(١ /٤١٦)، ط١/ دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة).

الثالث: [illegible]ن، بفتح الميم وسكون العين المهملة، [illegible]مد بن معن بن نضلة الغفاري الحجازي، [illegible] ابن حبانٍ في ثقاته، روى له البخاري، والترمذيّ، والنسَائي، وابن ماجه. (انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي(٣٤١/٢٨)، ط١/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: د. بشار عواد معروف).

فائدة: تفرد البخاري دون مسلم بالتخريج لمَعْن.

الرابع: سعيد بن أبي سعيد، واسم أبي سعيد: كيسان، المقبري، مدني تابعي ثقة. (انظر: معرفة الثقات للعجلي(٣٩٩/١)، ط١/ مكتبة الدار، تحقيق: عبد العليم عبد

العظيم البستوي).

وقال الإمام العيني: «قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، ولكنه كبر وبقي حتى اختلط قبل موته». (انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١ / ٢٣٦)، ط/دار إحياء التراث العربي)

الخامس: أبو هريرة (الصحابي الجليل رضي الله عنه).

فوائد ولطائف على إسناد هذا الحديث:

منها أن فيه التصريح بالتحديث والعنعنة كما هو ظاهر في الإسناد، ومع هذا فهو صحيح، وسيأتي الجواب عن العنعنة.

ومنها: أن رواته ما بين حجازي ومدني وبصري كما سبق بيانه في الكلام على رجاله، مما يدل على بذل علماء الحديث ورحلتهم في طلبه، وأن الله حفظ بهم السنة النبوية المطهرة.

ومنها: أن فيه رواية مدلس شديد بعن، ولكنه محمول على ثبوت سماعه من جهة أخرى، (وكل ما كان في الصحيحين عن المدلسين بعن، فمحمول على سماعهم من جهة أخرى، مما يدل على أنه ليس كل مدلس تُترك روايته). (انظر: عمدة القاري (١ / ٢٣٦).

ثالثًا: بيان درجة الحديث

الحديث صحيح بشهادة إمام المحدثين البخاري، وإن كان في ظاهره علتان:

١- أنه رواية مدلس بالعنعنة (عمر بن علي رحمه الله).

٢- أنه رواية معن عن سعيد، وسعيد رحمه الله كان قد اختلط في آخر عمره.

والجواب عنهما بما يلي:

الجواب عن الأول: أن عمر بن علي - رحمه الله - صرّح بالسماع من طريق أخرى، فقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أحمد ابن المقدام أحد شيوخ البخاري عن عمر بن علي (المذكور)، قال: سمعت معن بن محمد فذكره. (فتح الباري (١/ ٩٥))، ط/دار المعرفة، تحقيق: محب الدين الخطيب).

والجواب عن الثاني: أن سماع معن عن سعيد كان قبل اختلاطه، ولو لم يصح ذلك عند البخاري لما أودعه في كتابه الذي سماه (صحيحًا). (انظر:عمدة القاري (١/ ٢٣٦).

رابعًا: شرح الحديث

١- قوله: «إن الدين يسر»: أَيْ دِينَ الْإِسْلَامِ ذُو يُسْرٍ في شرائعه جميعًا. (انظر: فتح الباري (٩٤/١).

٢- قوله: (ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه): «يشاد» من المشادة وهي المغالبة من الشدة، وقوله: « إلا غلبه « أي: غلبه الدين، وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه. (انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، ط/ مطبعة الملاح، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط - التتمة تحقيق بشير عيون)

(والمعنى: لا يأخذ أحدكم بالأصعب، ويترك الأيسر إلا غلب الدين عليه، وعجز ذلك المتعمق، وانقطع عن عمله كله أو بعضه).

٣- قوله: (فسددوا) من التسديد، وهو: التوفيق للصواب، وهو السداد والقصد من القول والعمل من غير تفريط ولا إفراط. (انظر: عمدة القاري (١ / ٢٣٨).

قوله: (وقاربوا): معناه إن لم تستطيعوا الأخذ بالكل، فاعملوا ما يقرب منه؛ فإنكم لن تبلغوا النهاية في العبادة. (عمدة القاري (١ / ٢٣٨).

٤- قوله: (وأبشروا): أي بالثواب على العمل وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره. (انظر: فتح الباري (١ /٩٥)).

٥- قوله:(واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة):

استعينوا:(من الاستعانة وهي طلب العون) على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة: بالفتح السير أول النهار. والروحة: بالفتح السير بعد الزوال.

والدُّلْجة: بضم أوله وفتحه وإسكان اللام سير آخر الليل، وقيل سير الليل كله، ولهذا عبّر فيه بالتبعيض، وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر، وكأنه صلى الله عليه وسلم خاطب مسافرًا إلى مقصد فنبّهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة. (فتح الباري (١ /٩٥).

خامسًا: ما يستفاد من الحديث:

١- هذا الحديث من دلائل النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، ولا نقصد بالتنطع طلب الأكمل في العبادة؛ فإنه من الأمور المحمودة، بل المقصود منع الإفراط المؤدي إلى الملل والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح. (انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي (٨ /٥٠٣٤)، ط٢/مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة).

٢- أن ديننا يسر، قال السيوطي رحمه الله: سماه النبي صلى الله عليه وسلم يسرًا مبالغة ومقارنة بالأديان قبله، فمن ذلك أن الله تعالى رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم ومن أوضح الأمثلة، لذلك أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم. (انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي(٨ /٥٠٣٤)

٣- التنبيه على أوقات النشاط؛ لأن الغدو والرواح والإدلاج أفضل أوقات المسافر وأوقات نشاطه. (عمدة القاري (١ / ٢٣٩).

٤- تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنعه ورغبته لا يستلزم نقص أجره (فرب العباد كريم).(انظر: فيض القدير (١ / ٢٣٤)).

٥- تدخل الرخص ضمن ما سهّله الله على عباده كصلاة وصيام أصحاب الأعذار وغير ذلك مما أجمع على حله، فإذا أنعم الله سبحانه وتعالى علي عبده بنعمة كهذه أحسن العبد قبولها إجلالاً لما صدر من كرمه سبحانه وتعالى. (انظر: فيض القدير (١ / ٢٣٤).

٦- رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، وأن الشريعة حنيفية سمحة.

(شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩٦/١))، ط٢/ مكتبة الرشد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم).

٧- الأمر بالاقتصاد في العبادة، وترك التشديد على النفس، فإن الله سبحانه وتعالى لم يتعبد خلقه بأن ينصبوا آناء الليل والنهار، فلا يستريحوا، بل أوجب عليهم وظائف في وقت دون وقت، فليخلطوا طرف الليل بطرف النهار، وليجمّوا فيما بينهما أنفسهم. (شرح السنة للبغوي (٩٧/٤) ط٢/ المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرناءوط - محمد زهير الشاويش).

٨- الأخذ من العمل بما يتمكن صاحبه من المداومة عليه، وأن أحب العمل إلى الله ما داوم صاحبه عليه وإن قل. وقد روي ذلك في حديث آخر. (فتح الباري (١ / ١٥٠) ط٢/ دار ابن الجوزي، تحقيق: أبو معاذ طارق عوض الله).

٩- فيه الإشارة إلى شدة رغبة الصحابة في العبادة، وطلبهم الازدياد من الخير (مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يضع لهم الضابط الشرعي لهذا). (عمدة القاري (١ / ١٦٧)).

١٠- وفيه تشبيه للسفر إلى الله تعالى بالسفر الحسي، ومعلوم أن المسافر إذا استمر على السير انقطع وعجز، وإذا أخذ الأوقات المنشطة نال المقصد بالمداومة. (حاشية السندي على سنن النسائي (٨ / ١٢٣))، ط٢/دار المطبوعات العربية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة).

وقال الخطابي: معنى هذا الكلام (شيء من

الدلجة) الحث على عبادة السحر. (انظر: عون المعبود (٦/ ٣٣٦)، ط٢/دار الكتب العلمية).

١١- (براعة الإمام البخاري رحمه الله في تبويب صحيحه؛ فقد أورد هذا الحديث عقب الأحاديث التي قبله والتي تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأَوْلى للعامل بهذه الأحاديث أن لا يُجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع، ثم عاد بعد حديثنا هذا إلى سياق الأحاديث الدالة على أن الأعمال الصالحة معدودة من الإيمان فقال: « باب الصلاة من الإيمان « (وفي هذا رد على من تجرأ على ذكاء البخاري رحمه الله وعلمه) (انظر: فتح الباري (١ /٩٥))، ط/دار المعرفة).

أخيرا: الحديث وواقعنا

إن هذا الحديث يدل بمفهومه ومنطوقه على أن ديننا يسر، فلو تفكر الإنسان في العبادات جميعها لوجدها ميسرة؛ فالصلوات موزعة في أوقات، والزكاة جزء صغير بالنسبة لأصل المال، والصوم شهر في العام، والحج لمن استطاع سبيله، هذا فضلاً عن التماس الشارع الأعذار لأصحابها.

فالحاصل أن الدين يسر، يسر في أصل التشريع، ويسر فيما إذا طرأ ما يوجب الحاجة إلى التيسير في حالة الأعذار، ولن يطلب أحد التشدد في الدين إلا غلب وهزم، ثم ترك العمل، فعلى المرء أن يفعل الشيء على وجه السداد والإصابة، فإن لم يتيسر فيقارب، وليستبشر بالثواب الجزيل والخير والمعونة من الله عز وجل.

ولا يفوتنا في هذا المقام ومع هذا الحديث النبوي أن ننصح لأنفسنا وإخواننا بما يلي:

١- ينبغي للإنسان أن يحرص على إدخال السرور على إخوانه ما استطاع، بالبشارة والبشاشة وغير ذلك، ولا يقنطهم ظنًا منه أن التخويف قد يأتي بثمرة أجود في طريق الدعوة إلى الله، فهذه البشارة هي هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهي نوع من التيسير.

٢- عدم التشديد على الناس في دعوتهم إلى الخير أو إلزامهم بالعزائم، أو تكليفهم بما لا يطيقون مما لم يكلفهم به الشرع الحنيف.

٣- عدم التشديد على النفس ولا تكليفها بما لم يكلّفها الشارع به بزعم الأخذ بالعزيمة؛ لأن الخير كل الخير في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل لا سبيل غير ذلك.

٤- الحرص على إظهار سنة التيسير للناس في جميع مناحي الدين مع التأكيد على نية التقرب إلى الله والتعبد له بإظهارها ، وأن الذي يشدد على الناس - مهما كان صاحب هدف سام - مخالف للحنيفية السمحة.

٥- عدم التسرع في الحكم على الناس وتصنيفهم مهما بدا من تقصيرهم، بل ينبغي الإعراض عن تصنيف الناس بالكلية ، فلا يكلف المرء نفسه بما لم يكلفه الله به، إذ إن ضرر ذلك أكبر من نفعه .

٦- التدرج في دعوة الناس إلى الخير، والبدء بالأهم ثم المهم حتى لا يعرض الناس عن دين الله بالكلية، وهذا نوع من التيسير، وهذه هي السنة .

٧- تحبيب الناس في سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم، والتأكيد على أن اختيار النبي لأمته هو عين التيسير وهو كذلك، فلا يفرّط المسلم في شرائع دينه بدعوى التيسير، بل التيسير هو عين السنة، فما خُيِّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما كما هو ثابت في الحديث ، فالسنة لا تحتاج إلى تعديل ، ولا إلى مزيد من التيسير فحبيبنا صلى الله عليه وسلم لم يقصر في تبليغ دين الله على الوجه الذي أمره الله به.

أسأل الله الكريم المنان بفضله أن يرزقنا وإياكم هدى نبيه كاملاً غير منقوص، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة الرابعة عشرة

إعداد/ علي حشيش

١٥٥- «إن الله لا ييسر لعبده الحج إلا بالرضا فإذا رضي عنه أطلق له الحج».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب كذا في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ح٢) من كتاب الحج من حديث المقداد بن الأسود مرفوعًا وفي إسناده سعيد بن عبد الرحمن يروي الموضوعات عن الثقات.

١٥٦- «من تزوج قبل أن يحج فقد بدأ بالمعصية».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٦٤/١) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفيه أحمد ابن جمهور القرقاني، ومحمد بن أيوب ، والأول يروي الموضوعات والثاني: متهم بالكذب.

١٥٧- «يُدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة نفر: الميت، والحاج عنه والمنفذ له بذلك».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/١) من حديث جابر مرفوعًا ، وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي أبو يعقوب كوفي، قال ابن عدي : سمعت أحمد بن محمد بن سعيد يقول : سمعت الحضرمي يقول : ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذب أحدًا إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، فإنه جهر به فقال لي : أبو يعقوب هذا كذاب. اهـ. وعلة أخرى شيخه أبي معشر المديني وهو ضعيف جدًا، ولا سيما في بعض شيوخه ومنهم ابن المنكدر، ومع ذلك اختلط قبل موته بمدة.

١٥٨- «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله مكتوبًا بين عينيه: آيسٌ من رحمةِ اللهِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢٦٢٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه يزيد بن أبي زياد، ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٢٥/٤) (٩٦٩٦) هذا الحديث وجعله من مناكيره وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث، وسئل أبو حاتم عن هذا الحديث فقال: باطل موضوع.

قلت: وعدم صحة الحديث لا يتوهم منه من لا دراية له بالكتاب والسنة جواز التعاون على هذا الإثم العظيم وسفك للدماء، وقد نهى الله تعالى عن التعاون على هذا الإثم بجميع أسبابه وأشكاله ، فقال : «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [المائدة: ٢].

وكيف يُستهان بذلك الإثم العظيم وقد قال الله تعالى فيه: « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » [النساء: ٩٣].

قلت: فلا يغتر أحد بعدم صحة هذا الحديث فيستحل أن يقتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض.

فإذا لم يصح هذا الحديث فلا يغفل عن الأحاديث الصحيحة، حيث إن هذه الغفلة تتسب في فتن كقطع الليل المظلم ، فلا يغفل عن هذه الأحاديث التي في أعلى درجات الصحة حتى نسلم من هذه الفتن.

١- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْه ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

الحديث: صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٧٠٨١)، ومسلم (ح٢٨٨٦)، وهذا الحديث يدل على عدم التعاون على هذا الإثم من سفك الدماء في الفتن في قول الرسول صلى الله عليه وسلم من «تشرف لها». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٤/١٣) من تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تستشرفه» أي تهلكه.

ثم قال الحافظ: «والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك ،حيث لا يعلم المحق من المبطل ويكون ذلك مخصوصاً بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما في طلب الملك».

قلت: وذلك من دقيق فقه البخاري الذي حير العقول باستنباطاته في تراجم الأبواب جعل هذا الحديث في تراجم بابين من كتابين من صحيحه:

أ- الحديث (٣٦٠١) في كتاب المناقب الباب (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام.

ب- الحديث (٧٠٨١)، (٧٠٨٢) في كتاب الفتن الباب (٩) باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم.

٢- عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ».

الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٧٠٧٧)، ومسلم (ح٦٦).

٣- عن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ».

الحديث صحيح: متفق عليه، البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (ح٦٤).

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ».

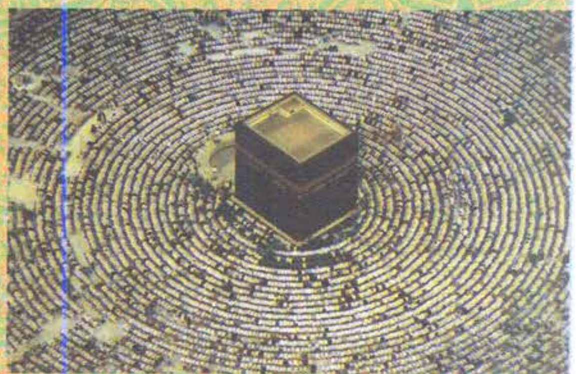
الحديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٧٠٧٠)، ومسلم (ح٩٨).

٥- عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ.

الحديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري (ح٧١٦٤)، ومسلم (٢٦٧٢).

لزوم الطاعات بعد انتهاء موسم الخيرات





إعداد/ الشيخ
علي عبد الرحمن الحذيفي
إمام المسجد النبوي في المدينة المنورة

الحمد لله الذي خلقَ الخلقَ بقدرته، ومَنّ على من شاء بطاعته، وخذل من شاء بحكمته، فسبحان الله الغني عن كل شيء، فلا تنفعه طاعةُ من تقرّب إليه بعبادته، ولا تضرُّه معصيةُ من عصاه لكمال غناه وعظيم عزّته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلهيّته، وأشهد أن نبيّنا وسيّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه خيرتُه من خليقته، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحابته صلاةً وسلامًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى بدوام الطاعات، وهجر المُحرّمات؛ فقد فاز من تمسّك بالتقوى في الآخرة والأولى، وخابَ وخسرَ من اتّبعَ الهوى.

عباد الله: اذكروا نعمَ الله عليكم التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى، وقابلوها بالشُكر لتدومَ وتبقَى، قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [لقمان: ١٢].

وقال تعالى في الحديث القُدسي: «يا عبادي: إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفّيكم إيّاها؛ فمن وجدَ خيرًا فليحمَد الله، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومنّ إلا نفسَه». رواه مسلم من حديث أبي ذرّ -رضي الله عنه-.

أيها المسلمون: في رمضان صفت لكم الأيام والليالي، وتلذذتم بأنواع الطاعات في تلك الساعات الخوالي، ووفق الله من وُفق لهجر المُحرّمات خوفًا من عقاب الكبير المتعال، فلا تتبدّلوا العصيان بطاعة الرحمن، ولا تتبدّلوا الغفلة بذكر الله وتلاوة القرآن، ولا يدخلنّ عليكم في الفرائضَ النقصُ بالتقصيرِ فيها أو الكسل عنها.

فالصبرُ على الطاعات، والصبرُ عن المعاصي هو صفاتُ المؤمنين، وشعارُ المُتّقين، قال الله تعالى: (رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [طه: ١٣٢].

ولا يتحوّل أحدٌ مما يحبُّ الله تعالى منه إلى ما يكرهُ الله -عزّ وجل- منه؛ لئلا يتحوّل الله له إلى ما يكره، ولا يُغيّرنّ أحدٌ ما كان عليه من الاستقامة والسّداد والطاعة إلى اتباع الهوى والشيطان ومُقارفة المُنكرات والمُحرّمات، فيُغيّر الله عليه

أحواله، وتنتكس عليه أموره.

قال الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد: ١١]، وقال تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال: ٥٣]، وقال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ) [الصف: ٥].

وليُجاهد المسلمُ نفسَه على أن يكون على أحسن الأحوال مُستعينًا بالله -تبارك وتعالى-، وليسأل من ربّه العونَ والتوفيقَ على أن يُعينَه عل طاعته، ويحفظه عن معاصيه.

أيها المسلمون: ألا تعلمون أن أحسنَ أمور المُسلم: أن يكون على طاعة بعد طاعة؟! وأن يُتبع الحسنات الحسنات مع مُجانبة السيئات؟! قال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ) [محمد: ١٧].

ثم إن دون هذه المنزلة أن يُتبع السيئةَ الحسنة لتُكفّرَها، قال الله تعالى: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) [هود: ١١٤].

وفي حديث مُعاذ وأبي ذرّ -رضي الله تعالى عنهما- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اتّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِق الناسَ بخُلُق حسن». رواه الترمذي.

وأسوأ أحوال الإنسان: أن يُتبع السيئات السيئات، أو يُتبع الحسنات السيئات، وقد ذُكر عن السلف أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يتقبّل منهم رمضان، ويدعون الله -تبارك وتعالى- ستة أشهر أن يُبلّغهم رمضان.

ومن كيد الشيطان: أن يُزيّن للإنسان التهاون في الطاعات، والضعفَ أمام المحرّمات في غير رمضان، فيَنال منه ما لم ينَلْ في رمضان؛ لأنه كان في رمضان مأسورًا.

قيل لبشر الحافيّ: ما تقول في قوم يجتهدون في رمضان، فإذا ولّى تركوا! قال: «بئس القوم؛ لا يعرفون الله إلا في رمضان».

وأعظمُ الكرامة: أن يمُنّ الله على العبد بالاستقامة في كل أيام عُمره، فذلك هو الفوزُ كلُه والسعادة التامة، قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الأحقاف: ١٣، ١٤].

وعن سُفيان بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قلتُ: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحدًا بعدك. قال: «قُل: آمنتُ بالله، ثم استقم». رواه مسلم.

وربُنا -عز وجل- هو الذي يُعبَد في كل زمان ومكان، وهو الذي يجبُ أن يُطاعَ فلا يُعصَى، قال اللهُ تعالى: (وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ) [الحجر: ٩٩].

قال المُفسّرون: «اعبُد ربّك دائمًا حتى يأتيَك الموتُ».

قال الحسنُ البصريُ -رحمه الله-: «ليس للمؤمن وقتٌ ينتهي إليه حتى يأتيَه الموتُ».

ومن فهمَ من الآية أن التكاليفَ تسقُط عن العبد بعد وصوله إلى اليقين -وهو عدمُ الشكِ-، فهو من الزنادقة الذين يهدمون بالبدع الدينَ.

وإذا كان رمضان قد انقضى فرضُ صيامه، وشُرع في شهره أنواعُ الطاعات؛ فقد شرعَ الله فيما بعد رمضان فعلَ الخيرات، فشُرع صيامُ ستة أيام من شوال، وأخبر النبي أنها كصيام الدهر فهنيئا لمن صَامها.

وشُرع صيامُ ثلاثة أيام من كل شهر ، وشُرع صيامُ الاثنين والخميس، وصيام عرفة، وعاشوراءَ، وصيامُ عشر ذي الحجّة، وشُرع الذكرُ مع تلاوة القرآن، وأفضلُ التطوّع الصلاةُ في جوف الليل، وشُرعت الصدقةُ وأنواعُ النفقات.

فالأعمالُ الصالحات كما هي في رمضان هي مشروعةٌ فيما بعد رمضان، والسابقون هم المُستكثرون منها.

ومن مكر الشيطان: أن يُصابَ بعضُ الناس بالكسل عن صلاة الفريضة، فيُصلّي في رمضان ويترك الصلاة بعده، أو يُصلّي بعض الصلاة ويترك بعضها

ومن نامَ عن الصلاة وصلاّها بعد الاستيقاظ على وجه العادة، أو أخّرها إلى آخر وقتها، أو تركَ صلاةَ الجماعة؛ ماتَ على غير سُنّة.

عباد الله: إن عدوّكم الشيطان كان عنكم مأسورًا، ويُريدُ أن يأخُذ منكم بثأره ليجعلَ الأعمالَ هباءً منثورًا، فردُوه بالاعتصام بالله والثبات على الصراط المُستقيم خائبًا مدحورًا.

واعلموا أن السعادة والفلاح الأبديّ هو صبرُ ساعة على الطاعة وعن المعصية، وأن الخُسران والشقاء الأبديّ اتباع الهوى ساعة، ولو تفكّر ابنُ آدم في قِصَر الحياة وزوال الدنيا وقِصَر أجَلها لاشتغلَ بصالح العمل، ولَمَا ألهَاه الأمل.

قال الله تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ) [يونس: ٤٥].

فما نسبةُ عُمرك في هذه الساعة التي ذكرَها الله؟!

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغ». رواه البخاري.

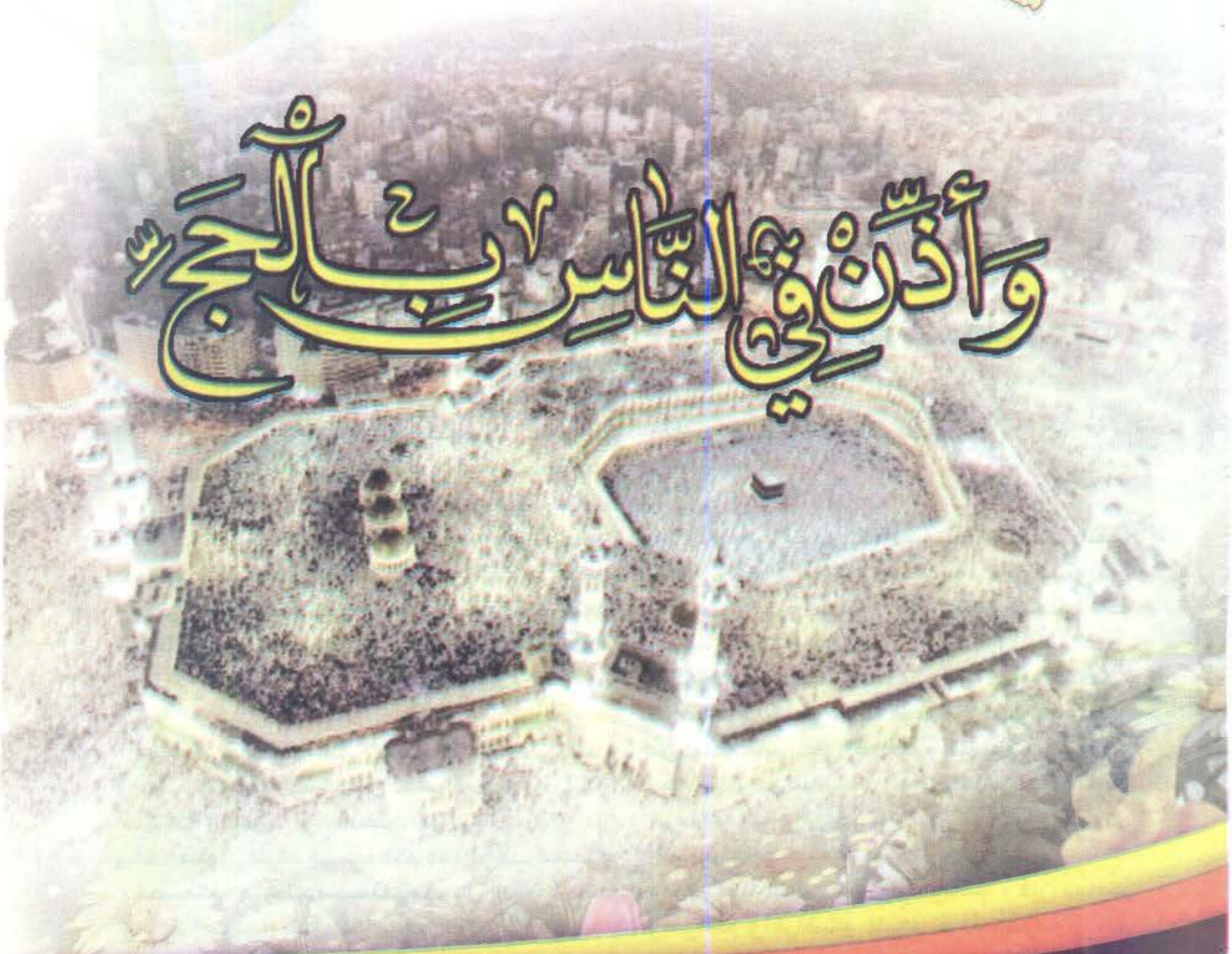
وهذه الدارُ ليست بدار قرار، إنما هي دارُ ممرّ وعمل، إنما دارُك هي الآخرة: إمَا نعيمٌ مُقيم، وإما عذابٌ أليم.

فلا تنسُوا -عباد الله- أن تعمَلوا لأنفسكم، وأن تُقدّموا لأنفسكم لداركم الأخرى وحياتكم الأبديّة.

فصلُوا وسلِموا على سيّد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

ملف العدد

وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ



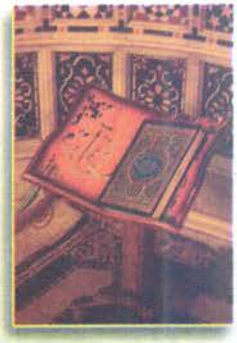
الحج دروس وعبر

من منافع الحج وفوائده

كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة؟



منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أمته خلال رحلة الحج



الحمد لله الذي جعل لكل أمة مُنسكًا، وجعل لهم إلى الخير طريقًا ومسلكًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه واقتفى. أما بعد:

إعداد/ عبده أحمد الأقرع



إن الناظر إلى أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عموما و في الحج خصوصا ليرى عجبا ، فمن تأمل حجَّه صلى الله عليه وسلم وجد أنه حرص على البلاغ وإقامة الحجة على الخلق فحفزهم على التعلم، وشحذ هممهم، وشدَّ انتباههم إلى ما يقول ويفعل، بتنويع أساليب الخطاب وطريق التعلم، فوضع صلى الله عليه وسلم منهجا للعالم والمتعلم لتعليم أمته وقيادتهم في هذه الرحلة العظيمة .

ملامح هذا المنهج

١-حرصه على تعليمهم ابتداء:

وكما في حديث بلال رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له غداة جَمع: «يا بلال، أسكت الناس». أو: «أنصت الناس». ثم قال: «إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم ، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٤٦٨].

ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم على البلاغ والتعليم بنفسه، بل جعل صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس بعرفة - ربيعة بن أمية- رضي الله عنه- يصرخ خلفه صلى الله عليه وسلم في الناس يُسمعهم خطبته. [انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٣٤٢/٤].

وفي منى جعل صلى الله عليه وسلم عليًا رضي الله عنه يعبر عنه، ويردد كلامه، والناس بين قاعد وقائم. [صحيح سنن الترمذي: ٧٠٠].

٢-بيانه صلى الله عليه وسلم منزلة أركان الإسلام وقواعده الكبار:

إذ قال في إحدى خطبه في المواسم: «اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمر منكم، تدخلوا جنة ربكم». [صحيح سنن الترمذي رقم: ٥١٢].

ومنها: عن فَضَالَةَ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ. [السلسلة الصحيحة رقم: ٥٤٩].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ». [صحيح البخاري: ٦٧].

٣-بيانه صلى الله عليه وسلم بعض الأحكام الشرعية:

ككيفية غسل الميت مُحرمًا وتكفينه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا». [صحيح

الجامع رقم: ١٠٧٩]. وبما أنا نرى اليوم الملايين من البشر في الحج تتوافد على الديار المقدسة عامًا بعد آخر، فإنَّ الفرصة متواتية لأن يتصدى أهل العلم لتعليمهم أصول الدين وتفقيههم بأحكامه.

٤- جوابهم عما أشكل عليهم:

ولعل من أشهرها: «أنَّ امرأة من خثعهم قالت: يا رسول الله، إنَّ أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحجي عنه». [صحيح مسلم: ١٣٣٥].

٥- وقوفه صلى الله عليه وسلم للناس وبروزه لهم لكي يروه ويسألوه:

كما يدل ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: «طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت في حجة الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه، لأن يراه الناس، وليشرف، وليسألوه، فإنَّ الناس غشوه». [صحيح مسلم: ١٢٧٣].

٦- جنوحه إلى التيسير في فتاويه، والتخفيف على ذوي الحاجات، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا أَرَدْتِ الْحَجَّ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً فَقَالَ لَهَا حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي. [مسلم: ١٢٠٧].

وقوله صلى الله عليه وسلم لكل من سأله عن التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر: «افعل ولا حرج». [صحيح البخاري: ٨٣].

٧- حرصه صلى الله عليه وسلم على الإقناع لمن يستفتيه:

كقوله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: يا رسول الله، إني أبي أدركه الإسلام، وهو شيخ كبير، لا يثبت على راحلته، أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان عليه دين فقضيته عنه، أكان يُجزيه؟ قال: نعم. قال: «فاحجج عن أبيك». [المسند لأحمد: ١٨١٢].

٨- استثماره صلى الله عليه وسلم الفرص وربطه بين المواقف:

كقوله صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس يوم النحر: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ». [صَحِيح البَخاري: ١٧٤١].







٩- حثه صلى الله عليه وسلم على التبليغ عنه، وتحذيره من الكذب عليه:

إذ قال صلى الله عليه وسلم: « نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ». [صَحِيح ابن ماجه: ٢٤٨٠].

١٠- التربية على الاتباع، وتوحيد مصدر التلقي:

ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم وحثه الناس في خطبة يوم عرفة على الاعتصام بالتنزيل والتمسك به، لأنه طريق الوقاية من الزيغ والضلال، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله». [مسلم: ١٢١٨].

١١- توحيد الأمة، وتحذيرها من الفتن ودواعي الافتراق:

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو بالخيف بمنى: « ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٤٨٠]. ومنها: نهيه صلى الله عليه وسلم عما يسبب الفرقة، ويؤدي إلى الفتنة في المجتمع المسلم، كالاقتتال، حيث قال صلى الله عليه وسلم بعد أن استنصت الناس: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض». [صحيح البخاري: ١٢١].

وصلى الله وسلم وبارك عليك يا خليلي يا رسول الله، اللهم امنن علينا بحج بيتك الحرام.

من روائع الماضي

من منافع الـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى شرع الحج لحكم كثيرة، وأسرار عظيمة، ومنافع جمة، أشار إليها سبحانه في قوله عزَّ وجل: « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » [الحج :٢٧- ٢٩] فأوضح سبحانه في هذه الآيات أنه دعا عباده للحج ليشهدوا منافع لهم.

أولاً : وأعظم هذه المنافع وأكبرها شأنًا ما يشهده الحاج من توجُّه القلوب إلى الله سبحانه، والإقبال عليه، والإكثار من ذكره، بالتلبية وغيرها من أنواع الذكر، وهذا يتضمَّن الإخلاص لله في العبادة، وتعظيم حرماته، والتفكير في كلِّ ما يقرِّب لديه، ويباعد من غضبه، ومعلوم أنَّ أصل الدين وأساسه وقاعدته، التي عليها مدار أعمال العباد، هي تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله قولاً وعملاً وعقيدة.

فالشهادة الأولى: توجب تجريد العبادة لله وحده وتخصيصه بها من دعاء وخوف ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وذبح ونذر، وغير ذلك من أنواع العبادة؛ لأنَّ هذا كله حق لله وحده، ليس له شريك في ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما قال عز وجل: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» [الإسراء : ٢٣]. وقال سبحانه: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ» [البينة: ٥]. وقال تعالى: «فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [غافر: ١٤]. والدين هنا معناه العبادة، وهي طاعته، وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، بفعل الأوامر، وترك النواهي، عن إيمان بالله ورسله، وإخلاص له في العبادة، وتصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، رغبة في الثواب، وحذرًا من العقاب، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإنَّ معناها: لا معبود حق إلا الله، فهي تنفي العبادة- وهي الألوهية بجميع معانيها- عن غير الله سبحانه، وتثبتها بجميع معانيها لله وحده على وجه الاستحقاق، وجميع ما عبده الناس من دونه من أنبياء أو ملائكة أو جنٍّ أو غير ذلك، فكله معبود بالباطل، كما قال الله عزَّ وجل: « ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ» [الحج: ٦٢]. ولهذا الأمر العظيم خلق الله الجن والإنس وأمرهم بذلك، فقال عزَّ وجل: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ٢١].

وعبادته سبحانه هي توحيده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وطاعة أوامره، وترك نواهيه عن إيمان وتصديق ورغبة ورهبة، ... وسمَّى الله سبحانه دينه عبادة؛ لأنَّ العباد يؤدُّونه بخضوع وذلٍ لله سبحانه، ومن ذلك قول العرب: طريق معبَّد أي: مذلَّل قد وطئته الأقدام، وبعير معبَّد أي: مذلَّل قد شدَّ عليه حتى صار ذلولاً، وهذه المسألة - أعني مسألة التوحيد والإخلاص لله، وتخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه - هي أهمُّ المسائل وأعظمها، وهي التي وقعت فيها الخصومة بين الرسل والأمم حتى قالت عاد لهود عليه السلام: «أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» [الأعراف: ٧٠]. وقالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالتوحيد: « أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» [ص : ٥]. وقالوا أيضًا فيما ذكر الله عنهم في سورة الصافات: « وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ» [الصافات: ٣٦]. بعد قوله سبحانه: « إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ » [الصافات: ٣٥]. فعُلم بهذه الآيات وما جاء في معناها، أنَّ أهل الشرك يستنكرون دعوة التوحيد، ويستكبرون عن التزامها؛ لكونهم اعتادوا ما ورثوه عن آبائهم من الشرك بالله وعبادة غيره .

فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى أهل الدعوة إلى الله سبحانه، أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يوضحوا حقيقة التوحيد والشرك للناس أكمل توضيح، وأن يبينوه أكمل تبيين؛ لأنَّه الأصل الأصيل الذي عليه المدار في صلاح الأعمال وفسادها وقبولها وردها، كما قال عزَّ وجل: « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ

حـــج وفـــوائـــده

للشيخ

عبد العزيز بن باز - رحمه الله-

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » [الأنعام: ٨٨].

أما الشهادة الثانية: وهي شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، فهي الأصل الثاني في قبول الأعمال وصحتها، وهي تقتضي المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، ومحبته وتصديق أخباره، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وأن لا يعبد الله إلا بشريعته عليه الصلاة والسلام، كما قال الله عز وجل: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» [الحشر: ٧]. وقال سبحانه: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» [آل عمران: ٣١]. ولا هداية للصراط المستقيم؛ إلا باتباعه والتمسُّك بهداه، كما قال الله سبحانه وتعالى: «وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ » [النور: ٥٤]. وقال عزَّ وجل: « قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » [الأعراف: ١٥٨].

وصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)). رواه البخاري في صحيحه .

ويدل على هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى: « تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » [النساء: ١٣]. «وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ » [النساء: ١٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ثانياً : ومن منافع الحج وفوائده العظيمة أنَّه يذكر بالآخرة، ووقوف العباد بين يدي الله يوم القيامة، لأنَّ المشاعر تجمع الناس في زيٍّ واحد، مكشوفي الرءوس من سائر الأجناس، يذكّرون الله سبحانه ويلبُّون دعوته، وهذا المشهد يشبه وقوفهم بين يدي الله يوم القيامة في صعيد واحد، حفاة عراة غرلا خائفين وجلين مشفقين، وذلك مما يبعث في نفس الحاج خوف الله ومراقبته والإخلاص له في العمل، كما يدعوه إلى التفقه في الدين، والسؤال عما أشكل عليه، حتى يعبد ربه على بصيرة، وينتج عن ذلك توجيهه لمن تحت يده إلى طاعة الله ورسوله، وإلزامهم بالحقِّ، فيرجع إلى بلاده، وقد تزود خيرًا كثيرًا، واستفاد علمًا جمًّا، ولا ريب أنَّ هذا من أعظم المنافع وأكملها، لا سيما في حقِّ من يشهد حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي والمشاعر، ويصغي إلى الدعاة إلى الله سبحانه، ويحرص على الاستفادة من نصائحهم وتوجيههم .

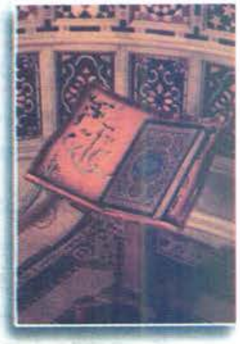
ثالثاً : وفي الحجِّ فوائد أخرى ومنافع متنوعة خاصة وعامة، يطول الكلام بتعدادها، ومن ذلك الطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة، والصلاة في المسجد الحرام، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والإكثار من ذكر الله ودعائه واستغفاره في هذه المشاعر، ففي ذلك من المنافع والفوائد والحسنات الكثيرة والأجر العظيم وتكفير السيئات ما لا يحصيه إلا الله لمن أخلص لله في العمل، وصدق في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والاهتداء بهديه، والسير على سنته، وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)). أبو داود وضعفه الألباني. وفي رواية للترمذي: " «إِنَّمَا جُعِلَ رَمْيُ الجِمَارِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ» : «وَقَالَ :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». [سنن الترمذي ت شاكر ٣/ ٢٣٧].

وأسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يمنحهم الفقه في دينه ويتقبل منا ومنهم، وأن يولِّي عليهم خيارهم، ويصلح قلوبهم وأعمالهم، وينصر دينه ويخذل أعداءه، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

المصدر:

(مجلة الجامعة الإسلامية) بالمدينة المنورة العدد (الثاني) ١٣٩٨هـ (١٥/١١)، والعدد (٢٠٩) عام ١٤١٤هـ .







الحج دروس وعبر

إعداد / د. نهار العتيبي
عضو الجمعية الفقهية السعودية

إن المتأمل في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ليجد أن هنالك العديد من الدروس والعبر ، ويمكن استخلاص أبرز تلك الدروس والعبر المستفادة من الحج فيما يلي :

١ - تحقيق تقوى الله عز وجل بتوحيده :

فإن المسلم بأدائه هذا الركن العظيم يحقق التقوى التي أمره الله تعالى بالتزود بها بعدما نهى عباده عن فعل المعاصي والآثام وأمرهم باجتناب الرفث والفسوق والجدال في الحج فقال سبحانه وتعالى : «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» [سورة البقرة:١٩٧] .والتقوى لا تكون إلا بتوحيد الله عز وجل وذلك بإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة وعدم إشراك أحد مع الله تعالى في عبادته ، وهذا يتجلى واضحاً في الحج فإن الحجاج يجيبون رباً واحداً قائلين لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وهذا هو التوحيد ؛ فإن معنى لبيك لا شريك لك لبيك أي:استجابة لك وحدك فإنه لاشريك لك في عبادتك .

وهذا درس للمسلمين في كل مكان يوضح وجوب تحقيق التوحيد بعبادة الله تعالى وحده ؛ وعدم دعاء غير الله من الأولياء أو الأموات أو غيرهم من المخلوقين فإن ذلك يوقعهم في الشرك الأكبر المخرج من الإسلام .

٢ - الحج يحقق وحدة المسلمين وقوتهم :

فإن الحجاج إلى بيت الله الحرام تختلف بلدانهم ولغاتهم وألوانهم لكن يجمعهم شيء واحد هو الإسلام فيجتمعون في الحج وتبلغ أعدادهم ملايين الأشخاص وينتقلون من مشعر إلى مشعر في منظر يشعر بالرهبة ويدل على أن قوة المسلمين هي في اجتماعهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا درس للمسلمين باهمية الاجتماع ونبذ التفرق والاختلاف فإن الخلاف شرّ والاجتماع خير وقد أمرنا ربنا جل وعلا في كتابه الكريم بالاجتماع فقال سبحانه : « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ »[آل عمران : ١٠٣] وقال سبحانه : «وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ »[سورة الأنفال : ٤٦] .

٣ - الحج يبرز الأخوة الإسلامية :

فإن الأخوة بين المسلمين تَبْرزُ بشكل واضح في الحج وتختفي الفوارق بينهم . ويُرى بشكل واضح التعاون والتآلف والمحبة في أروع صورها، فنجد القوي يعين الضعيف وربما حمله إن كان يستطيع حمله، ونجد أن من يمتلك الطعام يطعم من لا طعام لديه وكم هو مبهج ومفرح أن يرى المسلم مجموعات من الشباب والشيب وهم يستقبلون إخوانهم في مزدلفة بعد نفورهم من عرفة ويقدمون لهم الماء والعصير والطعام وهم يرددون







(سبيل يا حاج) ولا يعرف بعضهم بعضاً إلا بأنهم مسلمون فقط فيرتسم في مخيلة كل مسلم ومسلمة حديث نبينا الكريم الذي حفظه الجميع وهو قوله عليه الصلاة والسلام :« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».(رواه مسلم)

٤- الإحرام يذكر بالكفن :

فإنه من المعلوم أن الرجل المسلم يُحرم في إزار ورداء ويسن أن يكونا أبيضين، ويجب عليه مع الإحرام أن يخلع المخيط فلا يلبس إلا هذا الرداء وذلك الإزار ، ويستحب له الاغتسال والتطيب في بدنه قبل لبس ملابس الإحرام وهذا يذكر بالميت عند تغسيله وتكفينه فإنه عند موت المسلم يغسل ويطيب ويكفن بكفن ويستحب أن يكون أبيض كذلك ، غير أن هناك ثمة فرق بين الحاج والميت؛ فالحاج يستطيع أن يتوب ويدعو ربه ويتزود من العمل الصالح، وأما الميت فهيهات هيهات. وكذلك الحال بالنسبة لغير الحاج فباب التوبة مفتوح ما كان حياً ما لم يحل به الموت فإنه لا تقبل التوبة عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم .

٥- الحج يذكر بيوم القيامة:

فإن مسير الحجاج من منى إلى عرفات ومن عرفات إلى مزدلفة ثم إلى منى وهم يسيرون في وقت واحد وفي اتجاه واحد يذكر المسلم بيوم القيامة، فلقد شبه الله تعالى مسير الناس يوم القيامة بأنهم يسيرون وكأنهم يتجهون إلى علم أو راية فقال سبحانه :«يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » [سورة المعارج :٤٣-٤٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي :يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ،قال ابن عباس ومجاهد والضحاك :إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن كثير :إلى غاية يسعون إليها) . ومما لاشك فيه أن الموقف هنا يختلف، فالحجاج لا ينتابهم خوف ولا هلع بينما يوم القيامة يبلغ بالناس الخوف والهلع غايته إلا من استثناه الله تعالى من عباده المؤمنين .ولهذا وصف الله تعالى حال الناس يوم القيامة حين يرون القيامة بأنهم كالسكارى من شدّة خوفهم فقال سبحانه وتعالى :«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » [سورة الحج :١-٢].

٦- الحج يؤكد على مخالفة المشركين :

لم يقتصر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تحقيق التوحيد في التلبية فقط بل تعدى إلى الأمر بمخالفة المشركين فيما كانوا يفعلونه عند حجهم . فلقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلبية المشركين بما كانوا يزيدونه في التلبية بقولهم :لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .وخالفهم عليه الصلاة والسلام في عدة مواضع منها أنه تجاوز الوقوف بمزدلفة ووقف في عرفات بأمر من ربه عز وجل .قالت عائشة رضي الله عنها :(كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله- تعالى - نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها وذلك قوله عز وجل :« ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » [سورة البقرة :١٩٩] (متفق عليه) .

٧- الحج يعلم الصبر على طاعة الله:

لكي يؤدي الحاج حجه فإنه يعرض له الكثير من المشقة والتعب ويواجهه الكثير من الزحام والبقاء مدة طويلة في الانتظار وهذا يعوده على الصبر على طاعة الله عز وجل لاسيما والمسلم مأمور بالصبر على طاعة ربه عز وجل وهي أعظم أنواع الصبر الثلاثة .وقد أمر ربنا - تبارك وتعالى -عباده بالصبر فقال : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [سورة آل عمران :٢٠٠] وقال سبحانه وتعالى حاثاً عباده المؤمنين على الصبر :«إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» [سورة الزمر :١٠] .وهذا الأمر يدعو كل مسلم إلى الصبر على طاعة الله تعالى في كل وقت حتى يفوز بالنعيم المقيم في جنات النعيم.

٨- الحج يعود المسلم على الدعاء :

فإن الله قريب يجيب دعاء السائلين، ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فضل الله تعالى كبير وأنه سبحانه وتعالى يستجيب دعاء السائلين ويعتق عباده في يوم عرفة أكثر مما يعتقهم فيما سواه من الأيام. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة) [رواه مسلم] ولذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء خصوصاً في يوم عرفة فقال :(خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) [رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٢٧٤].

وإن اعتياد الحاج على الدعاء في هذه الأيام يجعله يعتاده فيما بعد ويشجع غير الحاج على دعاء الكريم سبحانه الذي وعد بإجابة الداعين فقال : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »[سورة البقرة :١٨٦]







٩- الحج يكفر الذنوب ويوجب دخول الجنة :

وهذا درس عظيم وفائدة جليلة تدل على فضل الكريم سبحانه فأما تكفير الحج للذنوب فلقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :(تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد) [رواه ابن ماجة والإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٨٩٩] .

وفي رواية للنسائي بسند صحيح (فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد) وفي رواية له أيضا وللترمذي والإمام أحمد بسند صحيح (فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة) . ويدل أيضاً على تكفير الحج للذنوب قول النبي صلى الله عليه وسلم :(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) [متفق عليه] .

ويرى جمهور العلماء وهو الصحيح إن شاء الله أن المغفرة مقتصرة على صغائر الذنوب بينما يرى بعضهم أنها تشمل حتى كبائر الذنوب .

وأما كون الحج سببًا لدخول الجنة فلقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [متفق عليه] .

أسأل الله جل وعلى أن يرزقنا التبصر والاعتبار والاستفادة مما في هذا الركن العظيم من الدروس والعبر الكثيرة إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.







كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة؟

إعداد/ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله-

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن أحسن ما يؤدي به المسلم مناسك الحج والعمرة أن يؤديها على الوجه الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينال بذلك محبة الله ومغفرته (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران:٣١).

وأكمل صفة في ذلك التمتع لمن لم يسق الهدي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به أصحابه وأكَّده عليهم وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم» [رواه البخاري].

والتمتع: أن يأتي الحاج بالعمرة كاملة في أشهر الحج ويحل منها ثم يحرم بالحج في عامه.

صفة العمرة للمتمتع

١- إذا وصلت إلى الميقات وأردت الإحرام بالعمرة فاغتسل كما تغتسل من الجنابة إن تيسر لك، ثم البس ثياب الإحرام إزاراً ورداء «والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير متبرجة بزينة» ثم قل: «لبيك عمرة متمتعا بها إلى الحج، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

ومعنى «لبيك» أجبتك إلى ما دعوتني إليه من الحج أو العمرة.

٢- فإذا وصلت إلى مكة فطف بالبيت سبعة أشواط طواف العمرة ، تبتدئ من الحجر الأسود وتنتهي إليه ، ثم صل ركعتين خلف مقام إبراهيم قريباً منه إن تيسر أو بعيداً.

٣- فإذا صليت الركعتين فاخرج إلى الصفا واسع بين الصفا والمروة سبع مرات سعي العمرة تبتدئ بالصفا وتختم بالمروة.

٤- فإذا أتممت السعي فقصر شعر رأسك.

وبذلك تمت العمرة ففك إحرامك والبس ثيابك.

الحج:

١- إذا كان ضحى اليوم الثامن من ذي الحجة فاحرم بالحج من مكانك الذي أنت نازل فيه، فاغتسل إن تيسر لك والبس ثياب الإحرام، ثم قل: لبيك حجاً، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

٢- ثم اخرج إلى منى وصل بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصراً بلا جمع.

٣- فإذا طلعت الشمس فسر إلى عرفة وصل بها الظهر والعصر جمع تقديم ركعتين ركعتين ، وامكث فيها إلى غروب الشمس ، وأكثر من الذكر والدعاء هناك







مستقبل القبلة.

٤- فإذا غربت الشمس فسر من عرفة إلى مزدلفة وصل بها المغرب والعشاء والفجر، ثم امكث فيها للدعاء والذكر إلى قرب طلوع الشمس.

وإن كنت ضعيفاً لا تستطيع مزاحمة الناس عند الرمي فلا بأس أن تسير من مزدلفة إلى منى آخر الليل لترمي الجمرة قبل زحمة الناس.

٥- فإذا قرب طلوع الشمس فَسِرْ من مزدلفة إلى منى ، فإذا وصلت إليها فاعمل ما يلي:

أ- ارم جمرة العقبة ، وهي أقرب الجمرات إلى مكة بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى وكبر مع كل حصاة .

ب- اذبح الهدي وكل منه ووزع على الفقراء ، والهدي واجب على المتمتع والقارن .

ج- احلق رأسك أو قصره ، والحلق أفضل (المرأة تقصر منه بقدر أنملة).

تعمل هذه الثلاثة مبتدئاً بالرمي ثم الذبح ثم الحلق إن تيسر، وإن قدمت بعضها على بعض فلا حرج.

وبعد أن ترمي وتحلق أو تقصر تحلل التحلل الأول ؛ فتلبس ثيابك ويحل لك جميع محظورات الإحرام إلا النساء .

٦- ثم انزل إلى مكة وطف طواف الإفاضة (طواف الحج) واسع بين الصفا والمروة سعي الحج.

وبهذا تحل التحلل الثاني ويحل لك جميع محظورات الإحرام حتى النساء .

- ثم اخرج بعد الطواف والسعي إلى منى فبت فيها ليلتي أحد عشر واثنى عشر.

٨- ثم ارم الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر بعد الزوال ، تبتدئ بالأولى وهي أبعدهن عن مكة ، ثم الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات ، تكبر مع كل حصاة ، وتقف بعد الجمرة الأولى والوسطى تدعو الله مستقبل القبلة، ولا يجزئ الرمي قبل الزوال في هذين اليومين.

٩- فإذا أتممت الرمي في اليوم الثاني عشر فإن شئت أن تتعجل فاخرج من منى قبل غروب الشمس ، وإن شئت أن تتأخر - وهو أفضل - فبت في منى ليلة الثالث عشر وارم الجمرات الثلاث في يومها بعد الزوال كما رميتها في اليوم الثاني عشر.

١٠- فإذا أردت الرجوع إلى بلدك فطف عند سفرك بالكعبة طواف الوداع سبعة أشواط. والحائض والنفساء ليس عليهما طواف الوداع.

زيارة المسجد النبوي في المدينة:

١- تتوجه إلى المدينة قبل الحج أو بعده بنية زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه ؛ لأن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

٢- فإذا وصلت إلى المسجد فصل فيه ركعتين تحية المسجد أو صلاة الفريضة إن كانت قد أقيمت.

٣- ثم اذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقف أمامه وسلم عليه قائلاً : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وجزاك عن أمتك خيراً .

ثم اخط عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام أبي بكر وسلم عليه قائلاً : السلام عليك يا أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيراً

ثم اخط عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام عمر وسلم عليه قائلاً : السلام عليك يا عمر أمير المؤمنين ورحمة الله

وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيراً .

٤- واخرج إلى مسجد قباء متطهراً وصل فيه .

٥- واخرج إلى البقيع وزر قبر عثمان رضي الله عنه فقف أمامه وسلم عليه قائلاً : السلام عليك يا عثمان أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيراً ، وسلم على من في البقيع من المسلمين .

٦- واخرج إلى أحد وزر قبر حمزة رضي الله عنه ومن معه من الشهداء هناك وسلم عليهم ، وادع الله تعالى لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان .

فائدة :

- يجب على المحرم بحج أو عمرة ما يلي:

١- أن يكون ملتزماً بما أوجب الله عليه من شرائع دينه كالصلاة في أوقاتها مع الجماعة .

٢- أن يتجنب ما نهى الله عنه من الرفث والفسوق والعصيان (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة:١٩٧).

٣- أن يتجنب أذية المسلمين بالقول أو الفعل عند المشاعر أو غيرها .

٤- أن يتجنب جميع محظورات الإحرام :

أ- فلا يأخذ شيئاً من شعره أو ظفره ، فأما نقش الشوكة ونحوه فلا بأس به وإن خرج الدم.

ب- ولا يتطيب بعد إحرامه في بدنه أو ثوبه أو مأكوله أو مشروبه، ولا يتنظف بصابون مطيب ،فأما ما بقي من أثر الطيب الذي تطيب به عند إحرامه فلا يضر.

ج- ولا يقتل الصيد، وهو الحيوان البري الحلال المتوحش أصلاً.

د- ولا يباشر لشهوة بلمس أو تقبيل أو غيرهما ، وأشد من ذلك الجماع .

هـ- ولا يعقد النكاح لنفسه ولا غيره ، ولا يخطب امرأة لنفسه ولا غيره .







و- ولا يلبس القفازين وهما شراب اليدين ، فأما لف اليدين بخرقه فلا بأس به ، وهذه محظورات على الذكر والأنثى .

ويختص الرجل بما يلي :

أ- لا يغطي رأسه بملاصق ، فأما تظليله بالشمسية وسقف السيارة والخيمة وحمل العفش عليه فلا بأس به .

ب- لا يلبس القميص ولا العمائم ولا البرانس ولا السراويل ولا الخفاف إلا إذا لم يجد إزاراً فيلبس السراويل ، أو لم يجد نعلين فيلبس الخفاف .

ج- لا يلبس ما كان بمعنى ما سبق ، فلا يلبس العباءة ولا القباء ولا الطاقية ولا الفنيلة ونحوها.

- ويجوز أن يلبس النعلين والخاتم ونظارة العين وسماعة الأذن ، وأن يلبس الساعة في يده أو يتقلدها في عنقه ، وأن يلبس الهميان والمنطقة وهما ما تجعل فيه النفقة ، ولو كان فيهما خياط .

- ويجوز أن يتنظف بغير ما فيه طيب ، وأن يغسل ويحك رأسه وبدنه ، وإن سقط بذلك شعر بدون قصد فلا شيء عليه .

- والمرأة لا تلبس النقاب وهو ما تستر به وجهها منقوباً لعينيها فيه ، ولا تلبس البرقع أيضاً . والسنة أن تكشف وجهها إلا أن يراها رجال غير محارم لها فيجب عليها ستره في حال الإحرام وغيرها .

والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

اللهم احفظ عبادك المؤمنين

قال الله تعالى في أذية أهل الصلاح:

« وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » [الأحزاب: ٥٨].

من فضائل الصحابة

الشيطان يهرب من عمر

عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إيهًا يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك». (الفج بالفتح: الطريق الواسع بين الجبلين) [صحيح البخاري ٣٦٨٣].

حكم ومواعظ

عن مالك بن دينار رحمه الله قال: إن البدن إذا سقم لا ينفع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة. وكذلك القلب إذا علق فيه حب الدنيا لم ينفع فيه المواعظ. قسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك. [صفة الصفوة لابن الجوزي].

منهج السلف في الفتوى

عن عبيد الله بن أبي زيد قال: كان ابن عباس إذا سُئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عن أبي بكر أو عمر أخبر به، وإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد برأيه. [كنز العمال].

أفعال خاطئة

تعليق التمائم من الخرز الأزرق أو حدوة الحصان أو الودع أو الكف (خمسة وخميسة) أو قرن الفلفل، أو الحذاء القديم، أو الحظاظة، أو الأحجبة على باب المنزل أو داخله أو في السيارة، اعتقاداً منك أن ذلك يمنع الحسد، فاعلم أن ذلك من الشرك. أعاذنا الله منه.

من الطب النبوي

عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى خادم رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ: مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَجَعًا فِي رَأْسِهِ، إِلاَّ قَالَ: «احْتَجِمْ». وَلاَ وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ إِلاَّ قَالَ: «اخْضِبْهُمَا».
[سنن أبي داود ٣٨٦٠ وحسنه الألباني].

إعداد:
علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهدي الظاهر من النبوة !

عن عبد الله بن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الهدى الصّالح، والسّمت الصّالح، والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النّبوّة» [سنن أبي داود ٤٧٧٨ وحسنه الألباني].

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيتني في الحِجْر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربًا ما كربت مثله، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأته" [صحيح مسلم رقم ١٧٢].

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود قال في خطبته: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به. وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفُرْقَة.
[الشريعة للآجري].

من جوامع الدعاء

عن أبي اليسر قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا". [سنن أبي داود ١٥٥٤ وصححه الألباني].

لا تكن من هؤلاء ..!

قيل: ثمانية أن أُهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه، والمتعرض لما لا يعنيه، والمتأمر على رب البيت في بيته، والآتي إلى مائدة بلا دعوة، وطالب الخير من أعدائه، والمستخف بقدر السلطان.

علامات أهل السنة

عن أبي القاسم عبد الجبار قال: سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول -وقيل له متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟- قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة. ولا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف. ولا يكذِّب بالقدر. ولا يشك في الإيمان. ولا يماري في الدين. ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب. ولا يترك المسح على الخفين. ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جَارَ أو عَدَل. [السنة للالكائي].

فتاوى

الحج والعمرة

حكم الحج

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٦٣١٥)

س٢: نوع من الناس يقولون: إن الحج بأبواب منازلهم، ويزيدون في قولهم بأن كل من ذهب إلى الديار المقدسة فإنه يرجع وقلبه خال من الرحمة، بل أشد قسوة، وهذا الرهط من البشر أغلبيتهم في استطاعتهم أداء الفريضة ولم يفعلوا. ما حكم من قال بهذا، وهل تطبق عليه نفس الآية المذكورة في الناقض الخامس كذلك؟

ج٢: الحج ركن من أركان الإسلام، فمن جحده أو أبغضه بعد البيان فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ويجب على المستطيع أن يعجل بأداء فريضة الحج؛ لقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

فضل الحج

السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٦١٤)

س١: الحج المبرور هل يغفر كبائر الذنوب؟ ومتى تكون التجارة جائزة في الحج؟

ج١: أولا: ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه، فالحج وغيره من صالح الأعمال من أسباب تكفير السيئات، إذا أداها العبد على وجهها الشرعي، لكن الكبائر لا بد لها من توبة؛ لما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وذهب الإمام ابن المنذر رحمه الله وجماعة من أهل العلم إلى أن الحج المبرور يكفر جميع الذنوب؛ لظاهر الحديثين المذكورين.

ثانيا: يجوز الاتجار في مواسم الحج، أخرج الطبري في تفسيره بسنده، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » وهو: لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.



تكرار الحج

السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٩٠٩)

س١: هل يستحسن الحج كل سنة لمن يرغب ذلك ولا يشق عليه أو الأفضل كل ثلاث سنوات مرة أو كل سنتين مرة؟

ج١: فرض الله الحج على كل مكلف مستطيع مرة في العمر، وما زاد على ذلك فهو تطوع وقربة يتقرب بها إلى الله، ولم يثبت في التطوع بالحج تحديد بعدد، وإنما يرجع تكراره إلى وضع المكلف المالي والصحي وحال من حوله من الأقارب والفقراء، وإلى اختلاف مصالح الأمة العامة ودعمه لها بنفسه وماله، وإلى منزلته في الأمة ونفعه لها حضرا أو سفرا في الحج وغيره، فلينظر كل إلى ظروفه وما هو أنفع له وللأمة فيقدمه على غيره.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء..

حكم تأجيل تأدية فريضة الحج

س: هل يجوز لي تأجيل تأدية فريضة الحج لعام آخر أو عامين، وأنا الذي قد توفر لي شرط الاستطاعة، من أجل زيارة الأهل والزوجة التي سأتغيب عنها مدة سنتين إذا ما أديت فريضة الحج هذا العام، والمناسك ستتوسط العطلة الصيفية ولن يتيسر لي أداء الحج وزيارة الأهل معا، فإما أن أحج وإما أن أزور الأهل فأؤجل الحج. أفتونا مشكورين، وجزاكم الله عنا كل خير؟

ج: يجب على المسلم المبادرة إلى تأدية فريضة الحج متى كان مستطيعا ؛ لأنه لا يدري ماذا يحدث له لو أخره، وقد قال الله تعالى: « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تعجلوا إلى الحج -يعني الفريضة- فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له » خرجه الإمام أحمد رحمه الله .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

حكم الاستدانة للحج

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٢٤٤٨)

س٢: قبل خمسة أعوام طلبت مني والدتي الحج، وليس عندي ما يودينا إلى المشاعر، فاستلفت من رجل مائة ريال أوصلتنا هنا، وتلقاني بعض إخوتي وساعدنا على مناسك الحج بكل مكان، وبعد ظهر لي من والدتي التي تبلغ من العمر فوق ثمانين سنة الخوف أن يكون حجها غير جائز بسبب السلف، فما الحكم في ذلك؟

ج٢: ما ذكرت من السلف لأجل الحج لا يجعل حجك بأمك بهذا السلف غير مجزئ، بل هو مجزئ، تقبله الله وآجركما عليه، وآجر من أعانكما عليه بالسلف وغيره.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء..

شروط الاستطاعة للحج

الفتوى رقم (٥٥٣٣)

س: أنا رجل موسر الحال، ولي شقيقة، زوجها معسر الحال، وصار معه حادث وأصبح مديونا وغير قادر على سداد الدين؛ لأن عائلته كبيرة جدا، وهو المعيل الوحيد لعائلته، وأنا أديت فريضة الحج، وحججت مرتين، والآن أريد أن أحج للمرة الثالثة وأحجج شقيقتي على نفقتي الخاصة؛ لأنها لا تقدر أن تؤدي فريضة الحج، ما هو أفضل عند الله تعالى: أحجج شقيقتي وأنا معها، وإلا نفك عسر زوجها بمصاريف الحج وتكاليفه؟ أفيدوني جزاكم الله خيرا.



ج: إذا كان الواقع ما ذكر من أن زوج أختك تحمل ديونا وليس لديه سدادها، فالأولى أن تقضي ديونه

بما لديك، وتؤجل تحجيج أختك؛ لأن قضاء دين زوجها وتفريج كربتهما جميعا أهم من تحجيجها، وأنفع لهما جميعا، وليس عليها حج حتى تستطيع.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

حكم الذي مات ولم يجب عليه الحج هل يحج عنه؟

السؤال الأول من الفتوى رقم (١٣٧٥)

س١: هل أحج عن والدي اللذين ماتا ولم تجب عليهما فريضة الحج لفقرهما، إلا أني أردت الحج عنهما؟ ولذا أريد حكم الشرع فيه.

ج١: يجوز لك أن تحج عن والديك بنفسك، إذا كنت أنت حججت عن نفسك، لما روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم « سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة، قال: «من شبرمة ؟ « قال: أخ لي، أو قريب لي، قال: «حججت عن نفسك؟» قال: لا، قال: «حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة » وأخرجه ابن ماجه قال البيهقي : هذا إسناد صحيح، ليس في الباب أصح منه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

حج عن أمه ولم يحج عن والده، هل عليه إثم؟

الفتوى رقم (١٧٥٣)

س: حججت لأمي بعد وفاتها ولم أحج لوالدي بعد وفاته، فهل علي إثم في ترك الحج لوالدي؟

ج: ليس عليك إثم في ترك الحج لوالدك؛ لأنه ليس بواجب عليك أن تحج له، ولكن من البر والإحسان أن تحج عنه، وهو داخل في عموم الإحسان الذي أمر الله به في قوله تعالى: « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

حكم اشتراط المحرم للمرأة في الحج

(٧٣١٦)

س٤: هل يجب على المرأة الحج إذا فقدت الزوج أو المحرم وهي مستطيعة أو إذا كانت في عدة الوفاة؟

ج٤: لا يجب الحج على المرأة إذا لم تجد محرما لها يسافر معها إليه، ولا يجوز لها أن تخرج إلى الحج وهي في عدة الوفاة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

رجل مات ولم يقض فريضة الحج

السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٢٤١)

س٢: رجل مات ولم يقض فريضة الحج، وأوصى أن يحج عنه من ماله ويسأل عن صحة الحجة، وهل حج الغير مثل حجه لنفسه؟

ج٢: إذا مات المسلم ولم يقض فريضة الحج وهو مستكمل لشروط وجوب الحج وجب أن يحج عنه من ماله الذي خلفه سواء أوصى بذلك أم لم يوص، وإذا حج عنه غيره ممن يصح منه الحج وكان قد أدى فريضة الحج عن نفسه صح حجه عنه وأجزأ في سقوط الفرض عنه، وأما تقويم حج المرء عن غيره هل هو كحجه عن نفسه أو أقل فضلا أو أكثر؟ فذلك راجع إلى الله سبحانه، ولا شك أن الواجب عليه المبادرة بالحج إذا استطاع قبل أن يموت؛ للأدلة الشرعية الدالة على ذلك، ويخشى عليه من إثم التأخير.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.



موقف الغافلين من الأحداث الجارية

إعداد/ المستشار / أحمد السيد علي

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى، وبعدُ:

فحينما كنت أقرأ قوله تعالى (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: ١٧٩] كنت أتعجب من هذا الصنف من البشر الذي تردى إلى أسفل سافلين، حتى أصبح أضل من الأنعام، فلم يحسن استغلال نعم الله وفق ما أراده الله له، فأغلق قلبه عن قبول الحق، حتى ران على قلبه ما كان يكسبه، (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين ١٤]، وأصبح قلبه (أسود مربادا - أي أسود به قليل من البياض - كالكوز مجخيا - أي كالكوز المقلوب - لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) [رواه مسلم].

وأغلق بصره عن رؤية الحق وأصر على تغطيته (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف ١٠١]، ونسي أيات ربه فكان في الدنيا أعمى البصيرة، واستحق أن يحشره الله أعمى البصر فالجزاء من جنس العمل (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) [الإسراء ٧٢]، (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ) [طه ١٢٦]، وحجب سمعه عن سماع الحق واستمتع بسماع الباطل وتلذذ بسماع الكذب (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) [المائدة ٤١]، فلم يقبل الهدى (وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [الأعراف ١٩٨]،

فاستحق أن يطبع الله على هذه النعم لغفلته، جزاء وفاقا (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [النحل ١٠٨].

وأن يسوقه مع أقرانه من الجن والإنس، إلى جهنم وبئس المصير، فإن كان كافرا، كان خالدا فيها، وإن كان مسلما، مكث فيها معذبا، ما شاء الله له أن يمكث، واليوم، وأنا أرى من المسلمين من حجب قلبه وغطى بصره، وسمعه عن قبول الحق، وأسلم قياده لسحرة الإعلام، فصدق الكاذبين، وكذب الصادقين، وائتمن الخائنين، وخون الأمناء، واتبع الرويبضة، فأصبحوا عنده أئمة الهدى ومصابيح الدجى، لا يستقي معلومة إلا منهم، فما قالوه هو الحق، وما نفوه هو الباطل، وأدار ظهره لحديث النبي صلى الله له عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة (سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائنُ، ويخونُ الأمينُ، وينطِقُ فيها الرُّوَيبضةُ. قيل: وما الرُّوَيبضةُ؟ قال: الرجُلُ التَّافِهُ يتكلَّمُ في أمرِ العامةِ) [صحيح الجامع الصغير للألباني].

وإذا أراد أحدهم أن يذكره ببطلان ما هو عليه، وسوء العاقبة، رماه بكل نقيصة، ونعته بكل خسيسة، وسلقه بلسان حاد، وأنذره سوء العقاب، إن لم يرجع إلى جادة الصواب، وظن المسكين أنه بهذا يتقرب إلى العزيز الوهاب، ومن مظاهر غفلته هذه الأيام المملوءة بالفتن العظام، هذه الجسام:

أولا: سفك الدم الحرام:

فتراه متغافلا عن قوله صلى الله عليه وسلم «فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا.» [رواه البخاري]، وقوله «كل المسلم على المسلم حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ» [رواه مسلم].

بينما يهب كالليث منافحًا ومدافعًا عن أي اعتداء على أمواله أو أموال موافقيه في الرأي، فيكيل بمكيالين، فلا يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه فصار بذلك من الغافلين، وإن لم يتب، استحق وعيد رب العالمين.

ثانيا: انتهاك أعراض النساء:

متغافلا عن قوله تعالى « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » [الاسراء٣٢]، وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الفرقان: ٦٨-٧٠].

ثالثا: انتهاك بيوت الله :

متغافلا عن قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [البقرة ١١٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: « من دخلَ دارَ أبي سفيانَ فَهوَ آمنٌ، ومن أغلقَ عليهِ دارَهُ فَهوَ آمنٌ، ومن دخلَ المسجدَ فَهوَ آمنٌ قالَ: فتفرَّقَ النَّاسُ إلى دورِهِم وإلى المسجدِ « [رواه أبو داود وصححه الألباني].

نوع آخر من الغافلين:

ونوع آخر من الغافلين ينسب إلى الملتزمين بشرع رب العالمين، ومن مظاهر غفلته هذه الأيام المملوءة بالفتن العظام، هذه الجسام:

أولاً: المسارعة بتكفير المسلمين:

فبعدما رأي المسكين مرارة الواقع وضغوطه من قتل واعتداء سارع بتكفير المعتدين والراضين بفعلتهم من المصريين، متغافلا عن قوله صلى الله عليه وسلم « أيُّما امرئ قالَ لأخيه: يا كافرُ. فقد باءَ بها أحدُهما. إن كانَ كما قالَ. وإلَّا رجعَتْ عليه » [رواه مسلم].

والقتل كبيرة من أعظم الكبائر يأتي بعد الشرك بالله في العظم، إلا أن مرتكبه ليس كافرا، قال تعالى «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » [الفرقان ٦٨ / ٧٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم «اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ. قالوا: يا رسولَ الله، وما هنّ؟ قال: الشركُ بالله، والسحرُ، وقتلُ النفسِ التي حرّم اللهُ إلا بالحقِّ، وأكلُ الرباء، وأكلُ مالِ اليتيم، والتولي يومَ الزحف، وقذفُ المحصناتِ المؤمناتِ الغافلات» [رواه البخاري ومسلم].

ومن ثَم فلا يجوز تكفير القاتلين، ومن ثم صاروا بفعلتهم من الغافلين، وإن لم يتوبوا، استحقوا وعيد رب العالمين.

ثانيا: المسارعة بقتل المسلمين:

وللأسف فإن البعض لم ينضبط بضوابط الشرع بعدما رأى قتل أقاربه أو أصدقائه، فسارع البعض بالانتقام قتلا ، ومنهم من أجاز ذلك، ومنهم من ارتضاه، ولا شك أن هذا مخالف للشرع؛ فهذا إسراف في القتل نهى عنه الله بقوله «وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا » [الإسراء ٣٣]، فكانوا بذلك من الغافلين، وإن لم يتوبوا، استحقوا وعيد رب العالمين.

ثالثًا: سب وشتم وتخوين علماء المسلمين:

فما يحدث من بعض الملتزمين، بل ومن بعض الشيوخ، في حق أقرانهم يندى له الجبين، من تخوين، وسب وشتم بألفاظ، يعف اللسان عن ذكرها، لمجرد اختلافهم في مسألة المشاركة في الاعتصامات من عدمها، فجعل البعض الولاء والبراء منعقداً عليها، وسقطت حرمة أهل العلم، وصارت أعراض المخالفين كلأ مباحا للكبار والصغار يلغ فيه الجميع، بغير خوف من الله وبغير امتثال لنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه بقوله « سبابُ المسلم فسوقٌ » [رواه البخاري ومسلم].

وبغير تقدير لمكانة العلماء التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَن سلَكَ طريقًا يبتغي فيه علمًا سلَكَ اللَّهُ به طريقًا إلى الجنَّة وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضاءً لطالبِ العلم وإنَّ العالمَ ليستغفرُ لَهُ من في السَّمواتِ ومن في الأرضِ حتَّى الحيتانُ في الماءِ وفضل العالم على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء إنَّ الأنبياءَ لَم يورِّثوا دينارًا ولا درْهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَ بهِ فقد أخذَ بحظ وافرٍ « [رواه الترمذي وصححه الألباني]، وبغير عذر للمخالفين في الاجتهاد حتى وإن أخطأوا. فصاروا بفعلتهم من الغافلين وإن لم يتوبوا استحقوا وعيد رب العالمين.

وأخيرا أسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجمع كلمتهم ويرفع رايتهم ويجعل بأسهم على عدوهم شديداً، وأن يحتكموا لصوت العقل بأن يجلس الطرفان للاحتكام لشرع الله، ويضعوا الحلول والمبادرات التي تجنب البلاد فتنة الحرب الأهلية، محل التنفيذ. والله الموفق.



دراسات شرعية

أثــر السـيـاق في فهم النص

ما بين الكليات العامة والأدلة الخاصة

الحلقة ٥٢

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

إن الكليات من قرائن السياق العامة التي تُستخدم لفهم النصوص الشرعية، وفي توجيه النصوص الجزئية (الأدلة الخاصة).

فَرَدُّ الجزئيات إلى الكليات هو نوع من ردّ المتشابهات إلى المحكَمات، فكليات الشريعة ومقاصدها العامة، هي أصول قطعية لكل اجتهاد.

بداية ما هي الكليات العامة؟

شرع الله يدور حول جلب المصالح ودرء المفاسد ، او بعبارة اخري يدور حول المصلحة ، وما يحقق هذه المصلحة هو ما يعرف عند الاصوليين بالكليات العامة ، وقد قسم الأصوليون المصالح إلى ثلاثة أقسام ، يقول القرافي: «قد تقرر في أصول الفقه أن المصالح إمّا في محل الضروريات، أو في محل الحاجيات، أو في محل التتمّات (التحسينيات) ». (انظر: الفروق ٣٤/٤).

ولا بد للفقيه من مراعاة ترتيب هذه الكليات؛ لأن النظر في أي مسألة يجب أن يُقاس بما تتصل به من هذه المصالح.

فما كان من الضروريات الخمس أو له صلة بها ، ينبني عليه تحصيلها وحمايتها، فله المقام الأول في الاعتبار، ثم الحاجيات ثم التحسينيات، فهما كالمتممات للضروريات الخمس.

وكذلك الضروريات الخمس متفاوتة فيما بينها، فحفظ الدين يُسترخص لأجله النفس والمال، وحفظ النفس مقدم على حفظ المال... وهكذا.

أولا: الضروريات

وهي المصالح التي تتضمن حفظ مقصود من المقاصد الخمسة: الدين، النفس، العقل، النسب (النسل)، المال.

وعرّفها الشاطبي بأنها: «لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ بحيث إذا فُقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامتها، بل على فسادَ وتهارج وفوت حياة، وفي الاخرى(الحياة الآخرة) فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين». [الموافقات: ١٧/٢، ١٨].

فهي الأمور التي عُرف من الشارع الالتفات إليها في جميع أحكامه، ويستحيل أن يفوّتها في شيء من أحكامه لكون كل واحد منها يعتبر ركنًا من الأركان التي لا تقوم الحياة البشرية إلا بها، وجميع التكاليف الشرعية تدور حولها بالحفظ والصيانة. [انظر: معالم أصول الفقه للجيزاني

٢٤٤، والمهذب في علم أصول الفقه د. عبد الكريم النملة ١٠٠٥/٣].

الضرورة الأولى: حفظ الدين:

الدين هو الأساس، وحجر الزاوية، لكل أمورنا وتعاملاتنا وأقوالنا وأفعالنا، وكل شيء، وهو مقدّم على حفظ النفس والمال والأهل.

وقد شرّع الله تعالى لحفظه تشريعات عدة، منها:

أ- الجهاد:

والجهاد يكون بالسنان ويكون باللسان، أما الجهاد بالسنان:

فقد ورد في فضله أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: «لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٥].

وأحاديث كثيرة، منها عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. [صحيح مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم بخير الناس منزلاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: رجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله عز وجل حتى يموت أو يُقتل.. الحديث. (صحيح سنن النسائي للألباني).

واما الجهاد باللسان فيكون بامور كثيرة منها : الدعوة إلى الله .قال الله تعالى: « فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» [الفرقان: ٥٢].

يقول ابن القيم : «فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحجة، والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين، إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » [التوبة: ٧٣].

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به ، أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كان هم الأقلية عددًا، فهم الأعظمون عند الله قدرا. [زاد المعاد ٥/٣].

ومن الجهاد باللسان : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : فكما هو معلوم فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض (بضوابطه) على هذه الأمة.

قال الله تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠].

وقد سمّى النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهادًا، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقومون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلُوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. [صحيح مسلم].

ب- قتل المرتدين:

المرتد هو من أسلم ثم عاد للكفر مرة ثانية، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من بدّل دينه فاقتلوه». [صحيح البخاري].

وقتل المرتد يكون حماية لغيره من اقتفاء أثره، والتشبه بمسلكه، فلو لم يعاقب المرتد لاتخذ الناس دين الله هزوًا ولعبًا، فيسلم أحدهم اليوم ويكفر غدًا، ويسلم غدًا ويكفر بعد غد بلا مبالاة، بدعوى حرية المعتقد.

فالإسلام لا يُكره أحدًا على الدخول فيه، لكن من دخله بعد التروي والتفكير والاقتناع فليس له الخروج منه.

فشدد الإسلام العقوبة حتى لا تكون الردة وسيلة لأعداء الإسلام أن يدخل منهم جماعة كثيرة في الدين، ثم يرتدوا جملة واحدة ليوقعوا الشك في قلوب المؤمنين، كما قال الله تعالى: « وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » [آل عمران: ٧٢].

جـ- النهي عن البدع:

والبدعة هي: أن يتعبد الإنسان ربه بما لم يشرعه من عقيدة أو قول أو فعل.

وقد حذّر الإسلام من كل أنواع البدع، كبيرها وصغيرها، ففي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما بعدُ؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». [صحيح مسلم].

الضرورة الثانية : حفظ النفس:

النفس البشرية هي أعظم ما يمتلكه الإنسان بعد دينه، وهي قوام الحياة، لذلك نهى المشرع أشد النهي عن إزهاقها، وشرع حدّ القصاص على القاتل العمد: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ» [البقرة: ١٧٨]، وكذلك الدية بضوابطها، هذا في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فقد توعد القاتل بعقوبات رادعة، قال الله تعالى: « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣].

قال ابن بطّال: اختلف العلماء في القاتل هل له توبة،

لاختلافهم في تأويل (تفسير) هذه الآية، فروي عن زيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر أنه لا توبة له، وأن قوله تعالى: «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣]، غير منسوخة، وإنما نزلت بعد الآية البينة التي في سورة الفرقان التي فيها توبة القاتل بستة أشهر، ونزلت آية الفرقان في «إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الفرقان: ٧٠]، في أهل الشرك، ونزلت آية النساء: «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣] في المؤمنين.

وروى سعيد بن مينا عن ابن عمر أنه سأله رجل، فقال: إني قتلت رجلاً فهل لي من توبة؟ قال: تزود من الماء البارد، فإنك لا تدخلها أبدًا.

وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر أن القاتل له توبة، من طرق لا يحتج بها. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٩٢/٨].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا». [صحيح البخاري].

المعنى: أنه في أي ذنب وقع كان له في الدين والشرع مخرج إلا القتل، فإن أمره صعب. [كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٥٩٠/٢].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما يُقْضَى بين الناس يوم القيامة في الدماء». [متفق عليه].

وعن المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إني لقيت كافرًا، فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، وقال: أسلمت لله، أأقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله. قال: يا رسول الله، فإنه طرح إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، أأقتله؟ قال: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قالها. [صحيح البخاري].

- كما شرع لحفظ النفس: وجوب الأكل والشرب عند الضرورة، وشرع اللبس والسكن مما يتوقف عليه بقاء الحياة وصون الأبدان من التلف أو أي ضرر.

الضرورة الثالثة: حفظ العقل

شرع الله تعالى لحفظ العقل كل ما من شأنه أن يغيّب العقل، فحرّم الخمر وكل ما يؤدي إلى غياب العقل، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ٩٠].

وجعل حد الخمر على شارب الخمر، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أمر عبد الله بن جعفر أن يجلد الوليد بن عقبة، فجلده، وعليّ يعدّ حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌ سنة، وهذا أحب إليّ. [صحيح مسلم].

فاتفق الفقهاء على وجوب حد شارب الخمر، ولكنهم مختلفون في مقداره على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة في الراجح عندهم إلى أن الحد ثمانون جلدة، لا فرق بين الذكر والأنثى، وبه قال الثوري، واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة.

القول الثاني: ذهب الشافعية في الأصح والحنابلة في رواية ثانية إلى أن قدر الحد أربعون فقط، ولو رأى الإمام بلوغه ثمانين جاز في الأصح عند الشافعية، والزيادة على الأربعين تكون تعزيرًا. [انظر الموسوعة الفقهية ٩٥/٢٥، ٩٦].

الضرورة الرابعة: حفظ النسب (النسل)

فحَرم الله الزنا، قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» [الإسراء: ٣٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن». [متفق عليه].

وشرّع حد الزنا لغير المحصن، قال الله تعالى: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» [النور: ٢].

أما الزاني المحصن (وهو المتزوج أو سبق له الزواج)، فحدُه الرجم إلى الموت، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم ماعز والغامدية وغيرهما.

- كما شرّع حد القذف حفظًا للأعراض من الخوض فيها.

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [النور: ٤].

- كما شرع أحكام الحضانة والنفقات وغير ذلك..

٥- حفظ المال، الضرورة الخامسة:

فحَرم الله تعالى السرقة، وجعل حد السارق قطع يده، قال الله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [المائدة: ٣٨].

- كما شرع القواعد المنظمة للمعاملات المختلفة بين الناس لصيانة الحقوق. [المهذب ١٠٠٥/٣].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله

يأجوج ومأجوج

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » [النمل: ٧٦]

الحلقة الثانية

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فهذا لقاؤنا الثاني مع قصة يأجوج ومأجوج، وقد تحدثنا في اللقاء السابق عن كثرة اضطراب أقوال المؤرخين والمفسرين في قصة يأجوج ومأجوج، وهذه الاضطرابات الكثيرة تعود في أصلها إلى أمرين أساسين:

الأول: التأثر بالكشوف الحديثة، وبالتالي تقديم الهوى والرأي على الشرع.

الثاني: التأثر بما جاء عن بني إسرائيل، ومحاولة تطويع القرآن والسنة لموافقة هذه الأخبار، وهذا اجتهاد فيه خطأ وصواب، وقد عرضنا في المقال السابق لأمثلة من النوعين، وبيّنا خطأ الشرع، واليوم نرد على أصحاب الاتجاه الثاني المتأثر بمرويات بني إسرائيل، وفي مقدمتهم العالِم الهندي المعروف أبو الكلام آزاد، ومع تقديرنا لجهده في البحث واجتهاده، لكن الشيخ رحمه الله أقام بحثه انطلاقًا من كتب بني إسرائيل وعلى تفصيلات جاءت فيها ليست في القرآن ولا في السنة الصحيحة، وهذا الذي دعاني إلى تصدير هذا المقال بالآية الكريمة من سورة النمل، وقد سبق هذه الآية الكريمة آية أخرى هي قوله تعالى: « وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [النمل: ٧٥]، وجاء بعدها: « وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» [النمل: ٧٧].

فتأمل أخي كيف وجَّه القرآن الكريم خطابه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: « فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» [النمل: ٧٩]؛ لأن هذا الحق الواضح من عند الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، «فسبحانه» هو الذي يخبرك بالحق، وهو الذي نزَّل عليك الكتاب بالحق، وهو الذي أرسلك بالحق، فتوكل عليه في تبليغ ما جاءك من الحق، وقد جعله الله رحمة وهداية للمؤمنين.

قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله في تفسير الآية (٧٦) من سورة النمل: «إبطال لقول الذين كفروا « إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» [النمل: ٦٨]، وله مناسبة بقوله تعالى: « وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [النمل: ٧٥]، فإن القرآن وحي من عند الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فكل ما فيه فهو من آثار علم الله تعالى، فإذا أراد الله تعليم المسلمين شيئًا مما يشتمل عليه القرآن فهو العلم الحق إذا بلغت الأفهام إلى إدراك المراد

منه على حسب مراتب الدلالة التي أصولها في علم العربية وفي علم أصول الفقه.
ومن ذلك ما اشتمل عليه القرآن من تحقيق أمور الشرائع الماضية والأمم الغابرة مما تخبطت فيه كتب بني إسرائيل من جراء ما طرأ على كتبهم من التشتت والتلاشي وسوء النقل من لغة إلى لغة في عصور انحطاط الأمة الإسرائيلية، ولما في القرآن من الأصول الصريحة في التعريف بالله مما يكشف سوء تأويل بني إسرائيل وتحريفهم لكلمات كتابهم؛ فإنك لا تجد في التوراة ما يساوي قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ» [الشورى: ١١]. وقد قصَّ عليهم القرآن أكثر ما اختلفوا فيه، وبيَّن لهم الحق الواضح في الإخبار بالغيب وفي العقيدة والأخلاق والمعاملات. اهـ بتصرف.
فإذا كانت مهمة القرآن الكريم هي تصحيح ما حرَّفه بنو إسرائيل، فهل يصح الاعتماد على مروياتهم فيما أخبرنا به القرآن؟ وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك تحريف اليهود للتوراة والإنجيل، ولم يستطيعوا تحريف القرآن رغم محاولاتهم المتعددة؛ لأن الله تكفل بحفظه، وقد جاء القرآن تبيانًا لكل شيء بما يغنينا عن غيره، فلماذا يقع البعض أسرى الإسرائيليات؟ لنرى موقف الشرع في هذه القصة وآراء العلماء الأثبات.

موقف العلماء من الإسرائيليات على سبيل الإجمال:

ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضًا لم يُشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله وغيره، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: «هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا» [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم». [صحيح البخاري: ٢٦٨٥].
رأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة فسأله: «ما هذا في يدك يا عمر؟» قال: يا رسول الله، كتاب نسخته لنزداد به علمًا إلى علمنا، فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بـ«الصلاة جامعة»، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟ السلاح السلاح، فجاءوا حتى أحدقوا منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختُصر لي اختصارًا، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون. قال عمر: فقمت، فقلت: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبك رسولاً».

رواه أبو يعلى بسند فيه ضعف وذكره ابن كثير في تفسيره وذكر له شواهد متعددة تحسنه، والله أعلم.
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «.. وفي القرآن غُنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد...» اهـ. مختصرًا. [تفسير ابن كثير ٣/ ١١٠].

وخلاصة القول

وقد قسَّم أهل العلم ما جاء عن بني إسرائيل إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: وهو الصحيح الذي علمنا صحته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا القسم مع صحته فعندنا غُنية عنه من كتاب ربنا وسنة نبينا، ولكن يجوز روايته للاستشهاد به، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم، هذا القسم ورد فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري.
القسم الثاني: ما علمنا كذبه؛ لأنه يخالف ما جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا، فهذا لا يجوز روايته بحال، وأعتقد أن هذا النوع الذي جاء التحذير فيه فيما سبق من قصة عمر وموعظة ابن عباس، وقال الإمام مالك رحمه الله في حديث «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» (المراد به جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا). [فتح الباري].
القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من الصحيح ولا من المكذوب، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: «ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ» [العنكبوت: ٤٦] الآية». رواه البخاري.
ولقد أطلت النَّفَس في هذا الباب؛ لكثرة من فُتن به، وخاصة في الأخبار المتعلقة بالغيب وأشراط الساعة؛ حيث امتلأت كتب العابثين بأشراط الساعة بعشرات الأخبار المنقولة عن كُتب اليهود والنصارى دون تمحيص، ولما كانت قصة يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة، ومن الأمور التي ستقع إن شاء الله في زمن نزول عيسى عليه السلام، كان لا بد من الوقوف عند الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سنتناوله في اللقاء القادم بإذن الله، فإلى ذلك إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.



مواقف وعبر من صلح الحديبية

الحلقة الأولى

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد...

فإن في سيرة الحبيب محمد المنهج والأسوة، والهداية بالقدوة، وكذا العظة والعبرة ، وكم من مواقف في حياتنا لا تحل إلا بقياسها على نظيرها من سيرة المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولهذا ألقي هذه النظرات على حادثة في التاريخ الإسلامي كانت فتحًا وهديًا، وأكثر ما نحتاجها- من وجهة نظري- في زمننا هذا الغريب الذي نعيشه، بل لا يستغني عن قبسها ونورها إلا غير موفق.

روى البخاري رحمه الله من حديث المِسْوَر بْن مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ – وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة- حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ (ولم يكن أسلم بعد) بِالْغَمِيمِ (مكان بين مكة والمدينة) فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً (مقدمة الجيش)، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ» فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ (الغبار الأسود)، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ،(أي تحركي فأصرت على البروك) فَقَالُوا: خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، خَلَأَتِ القَصْوَاءُ،(تعبت) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ».- والمقصود أن الله تعالى هو الذي حبس الناقة عن الحركة كما حبس فيل أبرهة عن دخول مكة لما جاء أبرهة ليهدم الكعبة، وفي حبس الناقة عبرة عظيمة، وهي أن الله تعالى أراد أن ينبه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد وصل حدود الحرم لكيلا يدخل مقتحمًا مكة على قريش فيهبوا لقتاله، ليتفادى القتال في الحرم لو صده المشركون عن دخول البيت الحرام ومنعوه من العمرة، ولذلك التزم النبي تعظيم حرمات الله .

فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» ، ثُمَّ زَجَرَهَا (الناقة) فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ (حفرة) قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا (يأخذون منه بحساب)، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى

رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَته، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فيه، فَوَاللَّه مَا زَالَ يَجِيشُ (يُكثر) لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ - وكان عددهم ألفا وخمسمائة رجل تقريبًا- ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِه مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ (محل ثقة) رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ أَهْل تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاه الْحُدَيْبِيَة،(أماكن المياه الغزيرة) وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ،(وهي النوق ذوات اللبن معها أطفالها)، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَن الْبَيْت، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: « إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ (سلمية)، وَلَكنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً،(هدنة) وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاس، فَإِنْ أَظْهَرْ؛ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيه النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا (استراحوا)، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي (أقتل)، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ».

وهذا موقف في غاية الشجاعة والحسم من رسول الله وهو يعرض خطة الصلح على قريش التي إن رفضوها كان البديل عنها الجهاد القوي المتواصل حتى يتم أمر الله تعالى، وكان لهذا الكلام القوي والوعيد والتهديد أثر هز نفوس المشركين حتى قبلوا بالصلح - فَقَالَ بُدَيْلٌ للنبي : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُل وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وهكذا حين يتعجل السفهاء ويتصدرون المشهد تضيع الفرص العظيمة- • وَقَالَ ذَوُو الرَّأْي مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِد؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَد؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ (دعوتهم إلى نصركم)، فَلَمَّا بَلَّحُوا (امتنعوا) عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيه، قَالُوا: ائْتِه.

فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِه لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّه لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا (خليطًا) مِنَ النَّاس خَلِيقًا (أولى) أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ - والذي دفع عروة أن يقول ذلك أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ أَنَّ الْجُيُوشَ الْمُجَمَّعَةَ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهَا الْفِرَارُ، بِخِلَافِ مَنْ كَانُوا مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّهُمْ يَأْنَفُونَ الْفِرَارَ فِي الْعَادَة، وَمَا دَرَى عُرْوَةُ أَنَّ مَوَدَّةَ الْإِسْلَام أَعْظَمُ مِنْ مَوَدَّة الْقَرَابَة، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ مُبَالَغَة الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْظِيم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ. . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْر اللَّات،(وَالْبَظْرُ قِطْعَةُ لَحْم تَبْقَى بَعْدَ الْخِتَانِ فِي فَرْج الْمَرْأَة، وَاللَّاتُ اسْمُ أَحَد الْأَصْنَام الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ وَثَقِيفٌ يَعْبُدُونَهَا، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَب الشَّتْمُ بِذَلِكَ، لَكِنْ بِلَفْظ الْأُمِّ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ الْمُبَالَغَةَ فِي سَبِّ عُرْوَةَ؛ بِجَعْل اللَّات الَّتِي يَعْبُدُهَا مَقَامَ أُمِّه، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَغْضَبَهُ بِه مِنْ نِسْبَة الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفِرَار عَنْ رَسُول اللَّه عِنْدَ الْحَرْب، وَفِيه جَوَازُ النُّطْق بِمَا يُسْتَبْشَعُ مِنَ الْأَلْفَاظ لِزَجْر مَنْ بَدَا مِنْهُ مَا يَسْتَحِقُّ بِه الزجر، وَقَالَ ابْنُ

الْمُنِيرِ: فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ تَخْسِيسٌ لِلْعَدُوِّ وَتَكْذِيبُهُمْ وَتَعْرِيضٌ بِإِلْزَامِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّاتَ بِنْتُ اللَّهِ- تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا- بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ بِنْتًا لَكَانَ لَهَا مَا يَكُونُ لِلْإِنَاثِ [فتح الباري لابن حجر ٥/ ٣٤٠].

قلت: من الناس من يأخذ هذه الواقعة دليلا له على الاستمرار في الفحش وسوء الخلق، مع أنه لم يثبت عن الصحابة أجمعين ذكر هذه الكلمة أو نحوها في سائر حياتهم إلا في هذا الموضع، فكيف تصير أصلاً في إدامة البذاءة؟ وقد قال صلي الله عليه وسلم :«وإن الله ليبغض الفاحش البذيء».جزء من حديث رواه الترمذي عن أبي الدرداء (٣٦٢/٤) وقال حسن صحيح.

ثم قال أبو بكر لعروة: أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ،(وكان عُرْوَةَ قد تَحَمَّلَ بِدِيَةٍ فَأَعَانَهُ أَبُو بَكْرٍ فِيهَا بِعَوْنٍ حَسَنٍ) قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِه، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ (الخوذة)، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِه إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،- فَيَقُولُ عُرْوَةُ: وَيْحَكَ مَا أَفَظَّكَ وَأَغْلَظَكَ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يَتَنَاوَلَ الرَّجُلُ لِحْيَةَ مَنْ يُكَلِّمُهُ وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْمُلَاطَفَةِ، وَفِي الْغَالِبِ إِنَّمَا يَصْنَعُ ذَلِكَ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ- وليس الحقير بالكبير- لَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغْضِي (يتجاوز) لِعُرْوَةَ عَنْ ذَلِكَ اسْتِمَالَةً لَهُ وَتَأْلِيفًا، وَالْمُغِيرَةُ يَمْنَعُهُ إِجْلَالًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمًا، فَلَمَّا أَكْثَرَ الْمُغِيرَةُ مِمَّا يَقْرَعُ يَدَ عروة غَضِبَ وَقَالَ: لَيْتَ شِعْرِي؛ مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ آذَانِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ؟ وَاللَّهِ لَا أَحْسَبُ فِيكُمْ أَلْأَمَ مِنْهُ وَلَا أَشَرَّ مَنْزِلَةً، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: هَذَا ابن أَخِيك الْمُغِيرَة بن شُعْبَة.[فتح الباري لابن حجر ٥/ ٣٤١]

.قلت: وهذه من مواقف العزة القوية التي لا يمكن أن تمر دون حسمها لما قد ظهر من تجاوز وغرور عند ذلك المشرك، وكذا من إهانة واستخفاف بعظماء الإسلام- فَقَالَ عروة: أَيْ غُدَرُ (مبالغة في الغدر)، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِك؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ».

وهكذا لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم مالاً مغتصبًا ولو كان من مشركين وفي الجاهلية، بل تعفف عنه وتبرأ منه- ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ (ينظر) أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْه، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِه، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّه لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوك، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّه إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّه إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِه، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.- وإظهار الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الحب الصادق العجيب الفريد، لنبيهم وقائدهم أمام هذا الخصم العنيد؛ كان لإقناعه أن الزعيم الذي يعامله أصحابه

هذه المعاملة لا يُتوقع منهم أن يفروا عنه ويتركوه، وإنما المتوقع والمتبادر أن يثبتوا معه ويحموه ولو قتلوا بين يديه فداءً له ولدعوته-.

تحييد الخصوم قدر الاستطاعة

قال عروة لقومه: وَإِنَّهُ (أي محمد) قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ هو الحُلَيْس بن علقمة: دَعُونِي آتِيه، فَقَالُوا: ائته، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ (الهَدْي)، فَابْعَثُوهَا لَهُ» فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِه، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ،- قلت: وهذا أمر بديع في الحوار والمنازعة؛ فلكي يكسب المحاور القضية المتنازع عليها ينبغي أن يظهر بالمظهر الذي يجعل الخصم يتعاطف معه ويتحول إلى مدافع عنه أمام قومه والناس، لا أن يتعاظم عليه ويستعديه ويستفزه، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستقبلوا الحُليس بن علقمة الكناني وهو عدو لهم؛ بالمظهر الذي يفرض عليه اعتقاد أنَّ المسلمين إنما جاؤوا للعمرة، حيث أرسلوا أمامه الإبل المُعَدَّة للهَدْي، والرجل ممن يعظمون مشاعر الحج والعمرة، وقد أثر هذا المنظر فيه فرجع منكرًا على قريش وقوفها في وجه المسلمين وصدَّهم عن البيت الحرام الذي جاءوا له معظمين، وإليه معتمرين. فالمؤمن كيِّس فطن، حين يحاور خصومه عليه أن يُعمِل الذكاء، ليكسب تعاطف وتأييد الأعداء، وهذا من عظيم الكياسة وجميل الدهاء، بل جاء في سيرة ابن هشام (٤٠٧/٣) أن قوم الحليس قالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس عند ذلك وقال: يا معشر قريش، ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصَدُّ عن البيت من جاء معظمًا له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأُنْفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد ، قالوا: مَهْ، كُف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به».

السياسي المحترف:

قلت: وهكذا كان التصرف من رسول الله مقنعًا للحليس كي يتحول عن رأيه ويقف في صف المسلمين، بل ويهدد قريشًا بأنه سيواجههم بالحرب إن هم صدوا محمدًا وأصحابه وقد جاؤوا معظمين لبيت الله الحرام، ولقد تحول رأي زعماء قريش بعد هذا الموقف؛ من الرأي المتصلب وهو صد المسلمين بالقوة إلى نوع من المساومات السياسية حين قالوا للحليس: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. يعني: أننا لن نصد المسلمين بالقوة عن الوصول إلى البيت، ولكننا نريد أن نغتنم هذه الفرصة لنكسب هذه القضية أمام العرب،ولا يدخل محمد وأصحابه علينا مكة هذه السنة، فنكون أمام الناس منعناهم أن يدخلوا مكة علينا عنوة. سبحان الله!! رأوا من أنفسهم ضعفًا ولكنهم يريدون أن يظهروا بمظهر القوي،فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون. كانوا على بداوتهم محترفين سياسة، ورسول الله أعظم منهم فطنة وكياسة.

وللحديث بقية إن شاء الله وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قصة قَسَم النبي صلى الله عليه وسلم حين استشهاد حمزة رضي الله عنه ليمثلن بسبعين

الحلقة (١٥٧)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي توهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كاد أن يسرف في القتل، وأن يمثل بأعدائه لولا أن نزل القرآن، خاصة وأن هذه الأوهام، كثرت في هذه الأيام التي ظهرت فيها الفتن، حيث بوب أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري في صحيحه في الكتاب (٩٢) كتاب «الفتن» الباب (٥) باب «ظهور الفتن» في حديث متفق عليه مشهور عن عبد الله بن مسعود، وأبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إن بين يدي الساعة أيامًا يُرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرجُ: القتل».(البخاري رقم(٦٦٥٤)، ط٣/ابن كثير)، و(مسلم برقم (٢٦٧٢)،ط/دار إحياء التراث العربي).

في وسط هذه الفتن انتشرت هذه الأوهام وكثر الـهَـرْج، وكان لهذه القصص الواهية الأثر السيئ في ظهور الفتن، فإلى القارئ التخريج والتحقيق لهذه القصة:

أولاً: المتن

رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظر إلى حمزة، وقد قتل ومُثل به، فرأى منظرًا لم ير منظرًا قط أوجع لقلبه منه، ولا أوجل فقال: «رحمة الله عليك، فقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تجيء من أفواج شتى». ثم

حلف وهو واقف مكانه: «والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك».

فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح بعد: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ» [النحل: ١٢٦] حتى تختم السورة، فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك عما أراد. اهـ.

ثانيا: التخريج

١- الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أحمد بن أيوب الشامي الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣/٣) ح(٢٩٣٧) قال: حدثنا محمد بن النضر الأزدي، حدثنا خالد بن خداش (ح) وحدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا سعيد بن سليمان، قالا: حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظر إلى حمزة... القصة.

٢- وأخرج هذا الخبر أيضًا الحاكم في «المستدرك» (٢١٨/٣) قال: حدثنا أبو بكر بن إسحاق، حدثنا محمد بن أحمد بن النضر، حدثنا خالد بن خداش حدثنا صالح المري به.

٣- وأخرج هذا الخبر أيضًا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٨/٣) قال: أخبرنا أبو الحسن بن بشران، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصغار قال: حدثنا عباس بن محمد بن حاتم، قال: حدثنا عبد العزيز بن السري قال: حدثنا صالح المري به.

٤- وأخرج هذا الخبر أيضًا الإمام أبو بكر البزار في «مسنده» (٣٢٦/٢- زوائد) (ح١٧٩٥) قال: حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا صالح المري وهو صالح بن بشر به.

ثالثا: التحقيق

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية هو خبر غريب مطلق أي فرد مطلق، قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٢٨): «الغريب والفرد مترادفان لغة واصطلاحًا إلا أن أهل الاصطلاح غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعجال وقلته!

فالفرد أكثر ما يطلقونه على الفرد المطلق.

والغريب: أكثر ما يطلقونه على الفرد النسبي».

قلت: وهذا عند أهل الصنعة الحديثية له أهمية في علم المصطلح التطبيقي عند التحقيق».

لذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في تحقيقه لهذا الخبر الذي جاءت به القصة (٣٢٧/٢- زوائد): «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، تفرد به عن سليمان صالحٌ، وقد تقدم ذكرنا لصالح يعني تقدم ضعفه، ولا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة».

٢- وهذا التحقيق من الحافظ البزار له أهميته:

أ- حيث يتبين منه أن الخبر بهذا السياق في قسم النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبًا به حمزة بن عبد المطلب حين استشهد والله على ذلك لأمثلن بسبعين مثلك». هذا الخبر «فرد مطلق».

والفرد المطلق كما بينه الحافظ السخاوي

في «فتح المغيث» (٤/٤) قال: «الفرد المطلق: وهو الحديث الذي لا يُعرف إلا من طريق ذلك الصحابي ولو تعددت الطرق إليه». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح الذي بينه الحافظ السخاوي بتطبيقه على تحقيق الحافظ أبي بكر البزار يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية من حديث أبي هريرة فرد مطلق بتطبيق قوله: ولا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة.

قلت: يتبين مما أوردناه آنفًا أن هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة فرد مطلق من حديث أبي هريرة ليس له شواهد.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٣٢): «وإن وجد متن يروى من حديث صحابي آخر يشبهه في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط فهو الشاهد». اهـ.

قلت: وقول الحافظ أبو بكر البزار: «ولا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة». ينفي وجود صحابي آخر يروي هذا الخبر الذي جاءت به القصة، وهذا له أهمية عند أصحاب الصنعة حتى لا يتقول من لا دراية له بأن للخبر شواهد.

ب- وقول الإمام البزار عن خبر هذه القصة: «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه تفرد به عن سليمان صالحٌ». اهـ.

قلت: يدل على الغرابة النسبية حيث تفرد عن سليمان التيمي صالح المري.

قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٣٢): «الفرد النسبي: سُمي نسبيًا لكون التفرد فيه حصل بالنسبة إلى شخص معين». اهـ.

جـ- قلت: وتفرد صالح المري عن سليمان التيمي يتبين منه: أن صالح المري لا توجد له متابعة تامة، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٣٢): «والمتابعة على مراتب؛ لأنها إن حصلت للراوي نفسه فهي التامة، وإن حصلت لشيخه فما فوقه فهي القاصرة». اهـ.

د- قلت: وبالتطبيق لا يوجد لصالح المري متابعة تامة لانفراده عن سليمان، وكذلك لا توجد متابعة قاصرة لقول الحافظ أبي بكر البزار: «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه». اهـ.

وبيان هذه الروابط بين أنواع الغرابة وبين المتابعات وأنواعها وبين الشواهد يتبين أن آفة هذه القصة الواهية صالح المري.

٣- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٢٨٩/٣٧٧٣): «صالح بن بشير أبو بشر المُرِّي الواعظ بصري مشهور، قال أحمد: هو صاحب قصص ليس هو صاحب حديث ولا يعرف الحديث.

وقال الفلاس: منكر الحديث جدًا.

قلت: لذلك ضعّف هذه القصة الواهية الحافظ الذهبي في «التلخيص» (٣/١٩٧- مستدرك) قال: «صالح واهٍ سمعه منه خالد بن خداش».

٤- قال الإمام البخاري طبيب الحديث في علله في كتابه «الضعفاء الصغير» (١٦٥): «صالح بن بشير، أبو البشر المُرِّي البصري القاصّ. منكر الحديث».

وننَبه طالب هذا العلم أن هذا المصطلح

عند أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري له معناه حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق (فيه نظر) و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه ويطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٥- قال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٣٠٠): «صالح المري: متروك الحديث بصري». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له أيضًا معناه؛ حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

قلت: ومن أقوال أئمة الجرح والتعديل يصبح هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة تالفًا وتصبح القصة واهية.

رابعًا: دلائل صحيحة تبين نكارة هذه القصة

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يقسم على الإسراف في القتل والتمثيل بأعدائه كما زعموا يوم أحد عند استشهاد حمزة رضي الله عنه في هذه القصة الواهية، ولقد حدث للنبي صلى الله عليه وسلم ما هو أشد من يوم أحد، وكان رءوفًا رحيمًا مع المشركين، فقد ثبت في أعلى درجات الصحة في الحديث المتفق عليه والذي أخرجه الإمام البخاري ((ح٣٢٣١، ٧٣٨٩)،ط/دارطوق النجاة)، والإمام مسلم (ح١٧٩٥) من حديث عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». اهـ.

قلت: ما أحوجنا إلى هذه الرحمة في أيام ظهور الفتن والتي أخبر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أنها يكثر فيها الهرج، والهرج القتل، وما أحوج الإنسان عندما يملك القوة إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فتحفظ الدماء والأموال والأعراض، وهو القائل يوم الحج الأكبر: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». فأعادها مرارًا ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ فليبلغ الشاهد منكم الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». (خ١٧٣٩)، (١٩٧٩) من حديث ابن عباس (خ١٧٤١)، م(١٦٧٩) من حديث أبي بكرة، (خ١٧٤٢)، (م٦٦) من حديث ابن عمر .

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

الحلقة الثانية عشرة

أبو حامد الغزَّالي يتراجع هو الآخر عن تأويل الصفات إلى ما تراجع إليه الأشعري.. ويموت وصحيح البخاري على صدره

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد سبق الكلام عن تراجع الكثيرين عما كانوا عليه من تأويل الصفات، وذكرنا كيف انضموا إلى قافلة السلف الصالح، وذلك برجوعهم في أمر معتقدهم إلى ما عليه صحيح المنقول غير المتعارض بحال مع صريح العقول.. ونعيش هذه اللحظات مع عَلَم آخر له أياد بيضاء على أمة الإسلام بما أفاء الله عليه من علم غزير وفضل وفير، ازدادا بعد أن حلاهما بخلق الرجوع إلى الحق وترك ما تعلق به أهل الكلام من تماد في الباطل.

إنه أبو حامد الغزَّالي حجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد الطوسي النيسابوري (ت٥٠٥)، أحد المعدودين عند ابن عساكر من الطبقة الخامسة، السائرين على منوال الأشعري في القديم الذي شابه التأويل ثم تراجع بعد ذلك إلى ما تراجع إليه الأشعري فقد كان يجنح قبل تراجعه إلى أن الاستواء بمعنى الاستيلاء ويدافع عن ذلك دفاعاً شديداً، فيقول في (الاقتصاد) ص ٤٠: «يصلح الاستيلاء على العرش لأن يُمتدح به، ويُنَبَّه به على غيره الذي هو دونه في العظم، فهذا مما لا يحيله العقل ويصلح له اللفظ، فأخلِق بأن يكون هو المراد قطعاً، أما صلاح اللفظ له فظاهر عن الخبير بلسان العرب، وإنما ينبو عن فهم مثل هذا، أفهام المتطفلين على لغة العرب، الناظرين إليها من بُعد، الملتفتين إليها التفات العرب إلى لسان الترك، حيث لم يتعلموا منها إلا أوائلها، فمن المستحسن في اللغة أن يقال: (استوى الأمير على مملكته)، حتى قال الشاعر»، وراح يستشهد ببيت الأخطل النصراني:

استوى بشر على العراق
من غير سيف أو دم مهراق

ليخلص من كل هذا إلى ترسيخ القاعدة التي أرساها في كتابه (المنخول) ص ٢٨٧ ومؤداها: «أن كل ما لا تأويل له فهو مردود،

وما صح وتطرق إليه التأويل قُبل».. وله في غير صفة الاستواء كلام مثل هذا.. لكنه بفضل الله كان من أبرز المتراجعين عن كل ذلك، وأضحى من أشهر الشخصيات الفكرية والدينية الراغبة عن منهج التأويل والمنتقدة لعلم الكلام وأهله بعد أن كان واحداً منهم.

شهادات أهل العلم الموثوق بكفاءتهم على تراجع الغزالي

وممن نص على تراجعه عن منهج المتكلمين إلى مذهب السلف وصحيح وآخر ما كان عليه أبو الحسن في إثبات ما صح في نصوص السنة من الصفات دون تأويل:

١،٢- الحافظ ابن كثير ت ٧٧٤ في البداية والنهاية ١٢/ ١٧٤، والإمام القاضي ابن أبي العز ت ٧٩٢ في شرحه على الطحاوية ص ١٤٧، ولفظ الأخير: «وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ فمات والبخاري على صدره».

٣- ومن قبلهما تاج الدين السبكي ت ٧٧١ حيث ذكر في طبقاته٦/ ٢١٠، ٢١٤ «أنه أقبل في أواخر عمره على الأحاديث الصحاح، وأن لو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله»، وأنه «سمع صحيح البخاري من أبي سهل محمد عبد الله الحفصي».

٤- وممن نقل تحول الغزالي عما كان عليه من غير من ذكرنا: المرتضى الزبيدي ت ١١٤٥ فقد حكا استنكارَ الغزالي الشديد لطريق التأويل وعلم الكلام، وأنه بدعة مذمومة ومخالفة للسلف، كما نص على فتواه بحرمة خوض العلماء والوعاظ في التأويل، قائلاً في كتابه (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين) «٢/ ٨٢، ٨٣» ما نصه: يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه الأسئلة بالخوض في التأويل، بل الواجب عليهم الاقتصار على ما ذكره السلف وهو المبالغة في التقديس والتنزيه ونفي التشبيه وأنه تعالى منزه عن الجسمية وعوارضها)».

٥- ومنهم الشنقيطي في (الإقليد للأسماء والصفات) ص ٧٥، قال: «وكذلك أبو حامد الغزلي، كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل ثم رجع عن ذلك، وبيَّن أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب السلف»، الذي يعني إجراء النصوص على ظاهرها من غير تأويل..

٦- ود. مصطفى حلمي في كتابه: (قواعد في المنهج السلفي) ص ٢٢٢، قال: «مات الغزالي على خير أحواله، مات على الصحيحين البخاري ومسلم طالباً علم الحديث، فتحول من الكلام إلى السنة من مصادرها الصحيحة».

الغزالي يذم طريقة المتكلمين ويفتي بحرمتها بعد تحوله عنها وانشغالها بها

وكان الغزالي قبلها، قد عكف - في سبيل البحث عن طريق المعرفة - على دراسة علم الكلام حتى أتقنه وصار أحد كبار علمائهم.. ثم توجَّه بعدُ لعلم الفلسفة فدرسها وفهمها، ثم نقدها بشدة في كتابه (تهافت الفلاسفة).. ثم درس بعدها الباطنية فردَّ عليهم وهاجمهم.. ثم درس التصوف الذي رجع عنه هو الآخر إلى الانشغال بالحديث.

وقد ألف إبان انشغاله بعلم الكلام عدة كتب أصبحت فيما بعد مرجعاً في هذا العلم مثل كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد)، إلا أنه لم يجد ضالته المنشودة في علم الكلام، وأوضح أن أدلته لا تفيد اليقين وأنه غير واف بمقصوده، فأعلن عن ذلك بقوله في (المنقذ من الضلال) ص ٩١: «لم يكن - علم - الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً».. بل ورد عنه ذمه بشدة وذلك في كتابه الإحياء ١/ ١٦٧، ١٦٨ حيث قال - بعد أن ذكر تحريم الشافعي وأحمد ومالك وصاحبي أبي حنيفة وسفيان وجميع أهل الحديث -: «أمَّا مضرَّته، فإثارةُ الشبهات وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك ممَّا يحصل في الابتداء، ورجوعُها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص، ومن أضراره تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتدُّ حرصُهم على الإصرار عليه بواسطة التعصُّب الذي يثور من الجدل».. إلى أن قال: «وأمَّا منفعتُه، فقد يُظنُّ أنَّ فائدَتَه كشفُ الحقائقِ ومعرفتُها على ما هي عليه، وهيهات؛ فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعلَّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدِّث أو حشوي ربَّما خطر ببالك أنَّ الناسَ أعداءُ ما جهلوا، فاسمع هذا مِمَّن خَبَر الكلامَ ثم قلاه -

يعني: تركه - بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسبُ نوع الكلام، وتحقق أنَّ الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور في أمور جليَّة تكاد تفهم قبل التعمُّق في صنعة الكلام».

وقد نقل شارحُ الطحاوية عنه كلامه هذا وعقب يقول في ص ١٤٤: «وكلامُ مثله في ذلك حجَّة بالغة».. ونقله كذلك ابن الوزير اليماني ت ٨٤٠ في كتابه الروض الباسم ٢/ ١٢ وعقب بقول: «فهذه نصوص الغزالي الذي قيل فيه: (لم تر العيون قبله ولا بعده أزكى منه)».. كما ذكره د. العباد في مقدمته لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ٣٣ تحت عنوان: (متكلمون يذمون علم الكلام ويظهرون الحيرة والندم)، وقدم له بقوله: «فأبو حامد الغزالي من المتمكنين في علم الكلام، ومع ذلك فقد جاء عنه المبالغة في ذمه، ولا ينبئك مثل خبير».

على أن الإمام الغزالي لم يكتف بذم الكلام وأهله، حتى طفق يبدّع طريقتهم في الإكثار من ذكر صفات السلوب ويعد التأويل تعطيلاً ويؤصل لما رجع إليه، فكان أن ألف في أواخر حياته:

أ-رسالة بعنوان: (فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة) وهو ضمن مجموعة (الجواهر الغوالي) وقال فيها ما نصه: «وإذا تركنا المداهنة صرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام لكثرة الآفة فيه».. ومما قاله فيها ص ٨٨: إن «إثبات الفوْق لله تعالى مشهور عند السلف، ولم يذكر أحد منهم أن خالق العالم ليس متصلاً بالعالم ولا منفصلاً، ولا داخلاً ولا خارجاً، وأن الجهات الست خالية منه، وأن نسبة جهة فوق إليه كنسبة جهة تحت، فهذا قول بدعة، إذ البدعة: إحداث مقالة غير مأثورة عن السلف».

ب- وكتاب (إلجام العوام عن علم الكلام) الذي تابع فيه شيخه أبا المعالي الجويني، وعالج مسألة التشبيه قائلاً في ص ٧٣: إن «جميع الألفاظ الموهمة في الأخبار، يكفي في دفع إيهامها قرينة واحدة، وهي معرفة الله وأنه ليس بجسم، وليس من جنس الأجسام، وهذا مما افتتح رسول الله ﷺ بيانه في أول بعثته قبل النطق بهذه الألفاظ».. ومما قاله بنفس هذا المصدر ص ٧٦ وما بعدها: «إن علاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر: ليس كمثله شيء».. وعمن سأل عن الاستواء، قال: «الجواب ما قاله مالك، إذ قال: (الاستواء معلوم)»، وعمن سأل عن الفوق واليد والأصبع، «أن يقال: الحق فيه ما قاله الرسول وقال الله تعالى، وقد صدق حين قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه/ ٥)، فيُعلم قطعاً أنه ما أراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة الأجسام»، وقال عن إثبات اليد والأصبع: «يجوز النطق بما نطق به رسول الله على الوجه الذي نطق به، من غير زيادة أو نقصان أو تأويل.. وننقله كما روي، ونقطع بنفي العضو المركب من اللحم والعصب».

«وفي ذلك يفارق الغزالي ما ذهب إليه من قبلُ، من أن أهل الحق مضطرون إلى تأويل آيات الصفات حينما أولوا صفة الاستواء بالاستيلاء، ويفارق آراءه التي سطرها في كتب العقائد كـ (القسطاس) و(قواعد العقائد) و(الاقتصاد في الاعتقاد)، حيث جري في هذه الكتب على تأويل الصفات على طريقة أهل الكلام والمنطق.. على أن الكثيرين لا يأخذون بعين الاعتبار المرحلة الأخيرة التي رجع فيها عن آرائه السابقة، بل يأخذون بكتبه التي رجع عنها ويعوِّلون عليها ويَغضون الطرف عما خالفها من الآراء، وإن كانت من نفس المؤلف الذي يعتمدون تواليفه السابقة»[ينظر (أبو حامد الغزالي والتصوف) د. الدمشقية ص ٣٦٠، ٣٦٥].

والأغرب مما سبق أن تجد إلى يومنا هذا، من ينشر ويحقق ويدرِّس ويُدرِّس ويجادل فيما رجع عنه وينافح عنه بالباطل، وبرأيي أن مثل هؤلاء لا يمكن أن يصلوا أبداً إلى صواب، ذلك أنه لا جمعَ بين أقواله وأحواله هذه، إلا بما ذكرنا من أنه رجع عما كان يخالف منها فهم السلف.

إنَّ الغزالي لا يكتفي بعَدِّ التأويل تعطيلاً.. حتى طفق يُرسي قواعد سلف الأمة في توحيد الصفات

هذا، ومما حسم به الغزالي أمره، قوله في (إلجام العوام) ص ٣٠: «اعلم أن الحق

الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف، أعني مذهب الصحابة والتابعين».. وما انفك الغزالي يرسي - بنفس الكتاب ص ٦٤، ٦٥- القواعد والأصول التي كان عليها الرسول وصحابته الكرم في هذا الباب، والمبتناة على أنه «أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم، وأنه بلغ كل ما أوحي إليه ولم يكتم منه شيئاً، وأن أعرف الناس بمعاني الوحي هم صحابته الذين لازموه وحضروا التنزيل، وأنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل.. فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه والصواب ما رووه، لاسيما وقد أثنى عليهم رسول الله وقال في الحديث المتفق عليه: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، وقال فيما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة: (ستفترق أمتي نيفاً وسبعين فرقة، الناجية منهم واحدة، فقيل من هم؟، قال: أهل السنة والجماعة، فقيل: وما أهل السنة والجماعة؟ فقال: ما أنا عليه وأصحابي)»ا.هـ

ذكر شهادات أخرى غير ما سبق على ما آل إليه حاله ودلالة كل ذلك

ويؤكد على أن هذا حال الغزالي الذي استقر عليه - من غير شهادات من سبق ذكرهم - قول تلميذه أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي خطيب نيسابور - وقد نقله عنه لفيف من أهل العلم منهم ابن عساكر في التبيين ص ٢٩٦ والذهبي في السير ١٩/ ٣٢٥ وتاريخ الإسلام ٣٥/ ١١٨والسبكي في طبقاته ٦/ ٢١٠-: «وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية واشتغل في آخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية، ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع، تخلد ذكره وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يُخلف مثلَه بعدَه».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ت٧٢٨ ممن يذكرون بهذه المرحلة الأخيرة التي تعرض لها الغزالي، مكرراً ذلك في غالب كتبه ومؤكداً على أن الغزالي اصطحب في آخر حياته أهل الحديث ومات وصحيح البخاري على صدره، وأنه كان يقول: «أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام».. ومما قاله بحقه: «وهذا أبو حامد - مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف - ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، وصنف (إلجام العوام عن علم الكلام)»، ولفظه في درء التعارض: أنه «رجع إلى طريقة أهل الحديث ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري»[مجموع الفتاوى٤/ ٢٨، ٧٢ ودرء تعارض النقل والعقل١/ ١٦٢].

كما سجل له الحافظ ابن كثير ت٧٧٤ هذه المرحلة قائلاً: «إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين».. قال» ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسناً وغرس فيها بستاناً أنيقاً، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح»[البداية والنهاية ١٢/ ١٧٤وينظر المنتظم ١٧/ ١٢٦]..

ولا دلالة ولا معنى لانشغاله بصحيح السنة سوى اتباع أصحابها من أهل الحديث والأثر المثبتين لما صح عنه في باب الصفات وغيرها.. وابتناء على ما سبق ذكره فإن كتبه التي ألفها وفيها ما حذر العلماء منه، ينبغي قصر الإفادة منها على ما لا يخالف الكتاب والسنة، كما قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح - فيما نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/ ٦٥ -: «أبو حامد كثر القول فيه ومنه، فأما هذه الكُتب - يعني المخالفة للحق - فلا يُلتفتُ إليها، وأما الرجل فَيُسكت عنه ويفوض أمره إلى الله».. وسيأتي الكلام عن المزيد ممن تراجعوا لنثبت - بمشيئة الله تعالى - أن رجوع شيوخ الأشاعرة قبل أن يكون حقيقة لا يجحدها إلا منكر للشمس في رائعة النهار، هو شرف ومنقبة لهم تنم عن تجردهم لمعرفة الحق والثبات عليه وعدم تماديهم في الباطل، وأن المخالف هو من فهم خطأ حقيقة ما عليه القوم وما آل إليه أمرهم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التربية الإيمانية

من أنواع التربية المطلوبة:

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

يقصد بالتربية الإيمانية: العمل على زيادة الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر وتعميق معاني الإيمان والارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان وتحب طاعة الرحمن وتنأى عن الفسوق والعصيان، وانظر طريقة القرآن في تعميق الإيمان بالآخرة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، فقد كان القرآن يقرر ويكرر أمور الأخرى على قلوب الصحابة رضي الله عنهم حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعيني رؤوسهم فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون طلبًا لما عند الله عز وجل ورغبة في رضاه، فتارة يخبر الله عز وجل بالأخرى خبرًا مؤكدًا كما قال تعالى: «إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا» [طه:١٥].

وتارة يقسم الله عز وجل بوقوعها كما قال تعالى: «وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ» [الذاريات: ١-٦].

وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها كما قال تعالى: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ» [سبأ:٣]

وتارة يذم الله عز وجل المكذبين بها كما قال تعالى: «قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ» [الأنعام: ٣١]

وتارة يمدح المؤمنين بها كما قال تعالى: «لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ» [البقرة: ١٧٧]

وتارة يخبر الله عز وجل بقرب القيامة كما قال تعالى:

«إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا» [المعارج:٦-٧]، «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» [الأحزاب: ٦٣].

فالإيمان كما قرر السلف يزيد وينقص؛ يزيد بكثرة الأدلة وقوتها وينقص بالجهل والغفلة والمعاصي، ومهما ازداد الإيمان

يسهل على العبد الطاعات والبعد عن المعاصي والعثرات، ومهما نقص الإيمان تعثر العبد في الخطيئات وسقط في الظلمات وأعرض عن رب الأرض والسموات. قال النبي صلى الله عله وسلم: » لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...« [متفق عليه].

فكان مما يميز القرآن المكي الإكثار من ذكر الآخرة، وكذا اشتماله على القصص القرآني الذي يتسلى به الصحابة الكرام وهم يعانون أشد ألوان العذاب بمكة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:«إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: « بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ» [القمر: ٤٦] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ»[صحيح البخاري ٦/ ١٨٥]

ومما غرس الله عز وجل به الإيمان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فرض قيام الليل في ابتداء الدعوة، فعن عائشة رضي الله عنها قال:» فرض الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قيام الليل، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الصحابة معه حولا كاملا، واحتجز الله عز وجل خاتمة السورة اثني عشر شهرا، ثم نزل بعد ذلك التخفيف. [مسلم (٧٤٦)].

وإنما قصدت رضي الله عنها الأمر بقيام الليل في قوله تعالى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا» [المزمل: ١-٤]، وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى: « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ» [المزمل:٢٠].

أليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس وقبل أن تنزل الحدود؟! ولئن قال الإمام البخاري:» العلم قبل القول والعمل، واستدل بقول الله عز وجل: « فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ» [محمد: ١٩]، فلقد قال الصحابة رضي الله عنهم ما هو أبلغ من ذلك، قالوا: الإيمان قبل العلم وقبل العمل .

روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:» عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وكان الواحد منهم يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسون يذكرون الله عز وجل».

هكذا تربى الإيمان في قلوب الصحابة حتى صار أرسخ من الجبال وأعلى من السحاب وظهرت بركات هذا الإيمان في مواقفهم فكانوا على أعلى مستوى في البذل والتضحية في سبيل الله عز وجل وصدق الأخوة وصدق التوبة والولاء والبراء، والصدق مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان من بركات هذا الإيمان كذلك انتصارات في كل ميدان وعلو ورفعة وعزة في الدنيا والآخرة، ولا شك في أن أعمال القلوب وعباداتها أجل وأعلى من أعمال الجوارح فالإخلاص والصدق والتوكل والمحبة أعلى من أعمال الجوارح، بل هي ثمرة لأعمال الجوارح، ولا ينتفع العبد بطاعات جوارحه حتى يكون الباعث لها الإخلاص والمحبة وغير ذلك..

وبالأحوال الإيمانية والأعمال القلبية فاق الصحابة - رضي الله عنهم - من هم أكثر منهم صلاة وصيامًا واجتهادات كما قال ابن مسعود رضي الله عنه للتابعين:» لأنتم أكثر عملا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيرًا منكم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة».

كان في التابعين ثلاثون تابعيا لو قيل لأحدهم القيامة غدًا لما استطاع أن يزيد شيئا ولكن الصحابة كانوا أفضل منهم لما تقرر في قلوبهم من معاني الإيمان وما تهيأ لهم من الأحوال، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيض عليهم مما أفاض الله عز وجل على قلبه من الأحوال الشريفة والمعاني اللطيفة والمعارف القلبية.

قال أنس رضي الله عنه: « وما نفضنا أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا» [رواه الترمذي (٣٦١٨) وابن ماجه (١٦٣٠) وصححه الألباني].

فبمجرد أن فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسوا بتغير القلوب ولذا ندب العلماء إلى

مجالسة العلماء الربانيين والدعاة المخلصين. فصحبة الزهاد والعباد ترغب في الزهد والعبادة وصحبة البطالين أهل الشهوات والغفلات تسكب في القلوب الغفلة والشهوة كما يقال « المجالسة سبب المجانسة»، فمن جالس المسرورين سرى إلى نفسه السرور، ومن جالس المحزونين سرى إليه الحزن. ويقولون كذلك بأن النفس كالريح إذا مرت بالطيب حملت منه، وإذا مرت بالخبث حملت منه، فنسأل الله أن يطيب قلبنا بمحبته وجوارحنا بطاعته وأن يوفقنا لمجالسة الصالحين من عباده ويؤهلنا لدخول الجنة والنجاة من النار.

فالتربية الإيمانية في: الارتقاء بالأحوال الإيمانية للمسلمين وتغذية شجرة الإيمان في قلوبهم، وإنما يتم - إن شاء الله - بأمور منها:

١- تعميق معرفتهم بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته:

فكلما ازداد علم العبد بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وإلهيته يزداد حبًا لله عز وجل وتوكلا وخشية وإنابة قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ » [فاطر:٢٨]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:« أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». [متفق عليه].

فمهما علم العبد من صفات ربه الجليل عز وجل فإنه يزداد إيمانًا بأن الله أهل أن يطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر، فالنفس مفطورة على محبة الكمال والجمال، وكذا محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وإذا تدبر العبد في أسماء الله عز وجل وصفاته علم أن أسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها عليا، وأنه عز وجل هو وحده المتصف بصفات الربوبية كالخلق والإماتة والإحياء والتربية بالنعم، وهو عز وجل وحده الذي يجب التحاكم إليه والرضا بحكمه، والكفر بكل حكم يخالف حكمه كما قال تعالى: «مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » [يوسف:٤٠].

وكذا هو وحده المستحق لكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، فإنه وحده الإله الحق وما سواه آلهة لا تستحق عبادة من العبادات؛ لأنه وحده الذي اتصف بصفات الربوبية وبالأسماء الحسنى والصفات العلا، ولأنه وحده القادر على جلب جميع المنافع لعباده، ودفع جميع المضار وهو الذي تألهه القلوب وتنجذب إليه محبة وتوكلا وإنابة وخشية، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» [الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها أو قيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له مطرقا واقفا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء، «يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » «السجدة:٥».

من أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له

بادية لا يخفى عليه منها شيء، وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها سواء عنده من أسر القول ومن جهر به لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة. [طريق الهجرتين ص٧٨ - ٧٩].

وقال الدكتور ضياء الدين الحماس: إن التفكير الدائم المستمر بأسماء الله تعالى، وفهم معانيها يجعل القلب محبًا لهذه الذات العظيمة الكاملة الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي، فالمفكر في هذه الطريق سيشعر بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود مرات ومرات حتى يجل الله ويعظمه، ومن يجل الله يغفر له فيصفو قلبه ويشعر بالقرب من الله. لا أقول قرب مكان، بل مكانة، معرفة ومحبة وفي الحديث الشريف: «ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرب إليه ذراعًا، ومن تقرب إلى الله ذراعا تقرب إليه باعًا، ومن أقبل إلى الله ماشيا أقبل الله إليه مهرولا. رواه مسلم.

والله أعلى وأجل، وهكذا تكون العلاقة الرائعة الجميلة بين العبد وربه لينقله من الإيمان إلى التقوى فالإحسان. [التفكير في الأسماء طريق العلماء «(ص: ١٩) ط/دار الهجرة] .

٢- ومما يتربى به الإيمان في القلوب: تدبر القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم: فإن من صفات المؤمنين أنهم يزدادون إيمانا بسماع القرآن وتلاوته، قال تعالى:

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » «الأنفال:٢»، وقال تعالى: « وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » « التوبة:١٢٤»، ولذا ندبنا الله عز وجل إلى قراءة القران وسماعه وتدبره فقال تعالى:

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » « النساء:٨٢»

قال العلامة السعدي - عليه رحمة ربنا العلي -«إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيمانه قال تعالى:

« وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » «الأنفال:٢»، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف تيقن أنه « لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » « فصلت:٤٢».

وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه من التناقض والاختلاف أمورًا كثيرة، قال تعالى:

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » «النساء:٨٢»

وهذا من أعظم مقويات الإيمان يقويه من وجوه كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف ما أخبر عنه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره؟! ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون:

« رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا » «آل عمران:١٩٣».

وكذلك معرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله، وكلها من محصلات الإيمان ومقوماته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ازداد العبد إيمانا ويقينا، فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان والمقوية له قال تعالى: « كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ » «ص: ٢٩».

فاستخراج بركة القرآن التي من أهمها حصول الإيمان سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها كما ذكر أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه، قال تعالى

« أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ » «المؤمنون:٦٨»، أي: فلو تدبروه حق تدبره لمنعهم مما هم عليه من الكفر والتكذيب وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به، وقال تعالى: « بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ » « يونس:٣٩»، أي: فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه لمنعهم من التكذيب وأوجب لهم الإيمان. [باختصار من «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣/١٠٨ - ١١١)].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



أكل الحلال وصلاح الأبناء

إعداد/ عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا خير خلق الله أجمعين. وبعد:

لا يخفى أننا في زمن فُتحت فيه الدنيا على الناس، وكثرت تجاراتهم، وتعددت مكاسبهم، وكثرت صور البيوع التي تحيّر فيها الناس وكثر فيها التحايل، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام»[سنن النسائي ٤٤٥٤، وصححه الألباني].

إن العبد الصالح نقي القلب لا يتابع الناس فيما يخالفون فيه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يأكل التمرة؛ لأنه يخشى أن تكون من تمر الصدقة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة»[مسند أحمد ٦٦٥٢، وصححه الألباني].

والعبد إذا اطمأن قلبه بربه؛ وثق في تدبير ربه له في أمر رزقه، بين بسطه وقبضه، فهو راض عن ربه، غير متطلع لما في يد غيره، قانع برزقه، واثق في حسن اختيار الله له، لا يتطلع للكسب الحرام، مؤمن ومصدق بقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم:

«لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال، وترك الحرام» [السلسلة الصحيحة:٢٦٠٧].

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم العبد من أكل الحرام، مبينًا آثاره الضارة على دين العبد وسلامة عبادته، فقال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا» [المؤمنون:٥١]، وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ» [البقرة:١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك» [مسلم ١٠١٥].

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:

«وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل، ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله، فإنه قال بعد تقريره: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً»، وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»، والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح، فما دام الأكل حلالاً فالعمل صالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولا؟! وما ذكره بعد ذلك من الدعاء، وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام». [جامع العلوم والحكم، ص ١٠٠].

يجب على من يحرص على دينه إذا التبس عليه أمر بين حل وحرمة أن يسأل إذا لم يعلم، كما كان سلفنا رضوان الله عليهم.

كم تجرأ الكثيرون على الكسب الحرام: عامل لا يؤدي عمله على وجه صحيح، ورب صاحب عمل يقتطع من حق أجيره، وموظف لا ينهض بمسؤولية وظيفته، وتاجر يغش في سلعته، ومتجرئ على التعامل بالربا، ومتاجر بما يفسد عقول الناس ويدمر حياتهم، والكسب الحرام ينعكس على صلاح الأولاد ضررًا لا نفعًا.

التربية بالقدوة والمثل الأعلى:

مما لا شك فيها أن الحديث عن المثل الأعلى والقدوة الطيبة شيء ضروري في هذه الأيام؛ حتى ينشأ شباب المسلمين مقتديًا بسير العلماء وأهل الفضل والخير من هذه الأمة، ممن جمعوا بين العمل الصالح وحب الخير ونفع الخلق، وحتى يتطلع الجميع إلى مُثل عليا حقيقية أثرت في حياة الناس، وغيَّرت الاهتمامات والطموحات، فكثير من شباب هذه الأيام لا يجد قدوة له إلا لاعبًا مشهورًا أو ممثلاً مغمورًا، أو حضارة غربية مفلسة مظلمة، فهؤلاء في حاجة ضرورية إلى أن يروا نماذج مشرقة، ورجالاً نبلاء فضلاء، وما أكثرهم في تاريخ هذه الأمة العريقة التي قد تمرض ولكنها لا تموت!

فبدلاً من تعلق القلوب بأقدام لاعبين أو لهو اللاهين، وتفريط المفرطين؛ لا بد من إبراز هذه القمم العالية؛ لتكون منارات في طريق الحق والخير يقتدي بها الحيارى، ويبصرون سبيل الحق والخير.

إن إنارة الطريق للشباب الغريق، وبث الأمل في القلوب والنفوس؛ لمن الأعمال الموفقة التي تعود على الأمة بالنفع والخير، فيتخلص أبناؤها من الهزيمة النفسية، ويعتزون بإيمانهم ودينهم العظيم، وتاريخهم المشرق، ورجالهم النبلاء وقادتهم العظماء، ويعرفون أن تاريخ أمة الإسلام به كنوز عظيمة فيها القدوة والأسوة الحسنة لمن قرأ وتدبر يا أمة (اقرأ)!!!

طيب الكسب وعفة المطعم من أسباب صلاح الأولاد:

مما لا شك فيه أن الشجرة الطيبة ذات الجذور الراسخة التي تُسقى بماء صاف لا تُنبت إلا خيرًا، وكان عمر بن عبد العزيز غرسًا طيبًا لأسرة كريمة طاهرة، فوالده هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، من خيار أمراء بني أمية، شجاعًا كريمًا، كان من تمام ورعه وصلاحه أنه لما أراد الزواج قال لخازنه: اجمع لي أربعمائة دينار من طيب مالي؛ فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح، فتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم جميعًا - وهي حفيدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. [ابن سعد في الطبقات ٥/ ٣٣١].

إن زواجه من آل الخطاب ما كان ليتم لولا علمهم بحاله وحسن سيرته وخلقه، فقد كان حسن السيرة في شبابه، فضلاً عن التزامه بدينه وحرصه عل تحصيل العلم واهتمامه بالحديث النبوي الشريف، فقد جلس إلى أبي هريرة وغيره من الصحابة وسمع منهم، وقد واصل اهتمامه بالحديث بعد ولايته مصر، فطلب من كثير بن مُرَّة في الشام أن يبعث إليه ما يسمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان من طريق أبي هريرة فإنه عنده.

من هذا لا بد أن ننتبه إلى أن صلاح الأولاد والذرية مسئولية وأمانة، وأن لهذا الصلاح بعد توفيق الله تبارك وتعالى سببين ظاهرين: أولهما الحرص على الحلال الطيب في المطعم والمنكح، وثانيهما البحث عن الأسر الصالحة الطيبة عند الزواج، ليخرج الله لنا أبناء بررة غُذُّوا بالحلال، ونشأوا عليه وعلى تعظيم الشرع الحنيف، وهذا النبت هو أساس الشجر الوارف الظلال الذي ينتج للأمة ثمارًا نافعة، وأطفال اليوم هم قادة الغد. فيا ليتنا ننتبه إلى بداية الطريق الصحيح حتى لا نضل ولا ننسى.

استشهد بقصة الكهف يا شيخ عبد العزيز لأن قصة خَلط اللبن بالماء ذكرها علي حشيش في القصص الواهية.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك. والحمد لله رب العالمين.

لا تسأل عمن هلك.. سل عمن نجا

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الفتن إذا أطلت برأسها لا تسأل عمن هلك، ولكن سل عمن نجا لكثرة عدد الهالكين بالنسبة للناجين، وفي زماننا قد تعددت الفتن وتنوعت وتلاحقت كأمواج البحر يتبع بعضها بعضًا، حتى إن من سلمه الله منها يُساء إليه بين أصوات الملايين.

ومن أعظم الفتن وأشدها الشرك بالله سبحانه، يقول الله عز وجل: « وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ» [الأنفال: ٣٩]، والمراد حتى لا يكون شرك وكفر، وقال سبحانه: « يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ» [البقرة: ٢١٧]، والفتنة قد يُقصد بها الامتحان والاختبار، قال جل شأنه : « أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ» [الأنفال: ٢٨] يعني: اختبارًا وامتحانًا، وتطلق الفتنة أيضًا على المصائب والعقوبات، قال الله سبحانه: « وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً» [الأنفال: ٢٥].

ولخطورة الفتن كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بالثبات على الدين، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم يكثر من قول : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» [الترمذي وصححهُ الألباني]. وهو القائل صلى الله عليه وسلم : «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من يستشرف لها تستشرفه، فمن استطاع أن يعوذ بملجأ أو معاذ فليفعل»[صحيح البخاري].

وقال أيضًا: «هل ترون ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»[متفق عليه].

وقال أيضًا: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[صحيح مسلم].

وللخروج من الفتن أسباب يجب على المسلم أن يسلكها حتى يعصمه الله من تلك الفتن:

١- عدم الولوج إلى الفتن والهروب منها،

وذلك بعدم التعرض إليها ، لا سيما عند خفاء الأمر وعدم وضوحه، فمن خاف نجا، ومن أمن هلك، وفي ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه : «تكون فتنة لا ينجى منها إلا دعاء كدعاء الغريق أي بلغ به الخوف من الفتن مبلغ الغريق الذي أوشك على الغرق».

٢- التمسك بالكتاب والسنة هو المخرج من فتنة الشبهات والشهوات، ففي الحديث: «تكون فتن». قيل: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم. فالنجاة من الفتن يكون بمعرفة منهج السلف الصالح والتمسك به والثبات عليه ومن سلك سبيلهم من الدعاة العاملين المصلحين.

٣- الرجوع إلى العلماء الربانيين العاملين الذين ما غيرتهم العواطف ولا تدافعتهم أمواج الأهواء وحناجر الهمج الرعاع وإنما ثبتوا على المنهج الحق ودعوا إليه وعملوا به وصبروا على الأذى في سبيله وهم أهل الحديث والفرقة الناجية المرضية أهل السنة والجماعة.

٤- إعلاء راية الدعوة إلى الله والانشغال بها والعمل لرفعتها دون سعي لمكسب مادي أو عرض دنيوي أو منصب زائل ، قال الله سبحانه: «اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ » [يس: ٢١]، وقال جل شأنه : «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ » [الشعراء: ١٠٩].

٥- البعد عن الفرقة والاختلاف والتحزب وتحقيق الوحدة والاجتماع على المنهج الحق الذي تركه سلف الأمة الصالح دون انحراف، قال صلى الله عليه وسلم : «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» [ابن ماجه وصححه الألباني].

٦- الدعاء : حث كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله دبر كل صلاة من الفتن بأنواعها من فتنة المحيا وفتنة الممات وفتنة الدجال وهو القائل: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[صحيح مسلم]. فإن كان هذا هو حال خير الأنبياء وإمام المرسلين فما بالنا نحن؟

٧- العلم: فالعلم الشرعي عاصم من الفتن، حيث إن العلماء يعرفون الفتنة قبل وقوعها أما أصحاب البدع والأهواء فلا يعرفونها إلا بعد وقوعها، والعلم الشرعي هو حارسك عند ورود الفتن، وما الذي يحدث في بلادنا إلا بسبب تصدر الجهلاء وإن ادعوا العلم ، فكم من مدع لشيء وهو لا يحسنه.

٨- دراسة سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وكيف واجهوا الفتن وتعاملوا معها وما موقف عثمان رضي الله عنهما منا ببعيد، وكذا ابن عمر وابن عباس وسائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على هديهم وتمسك بسبيلهم ، قال سبحانه: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ » [الأنعام: ٩٠].

٩- العبادة والعمل الصالح: فإذا أقبلت الفتن وكثرت ينبغي للمسلم أن يقبل على العبادة والطاعة والذكر والاستغفار ، يقول جل شأنه : «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » [الحجر: ٩٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: «العبادة في الهرج كهجرة إليَّ»[صحيح مسلم]. والمعنى: أن العبادة في زمن الفتن لها ميزة وفضل وأجر عظيم، يقول ابن رجب رحمه الله : وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون الأهواء ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويتجنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فالأولى بنا أن نتضرع إلى الله بالعبادة في زمن الفتن.

١٠- العمل بالعلم: وتلك آفة زمن الفتن حيث يخالف كثير من الناس ما يعلمونه وما يلقى على المنابر والفضائيات، فكم سمعنا منهم أحوال منهج أهل السنة والجماعة وإذا بهم يخالفونها في اليوم التالي لقولهم، ففقدوا رضا الله وحازوا سخط الناس في وقت واحد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١١- الالتجاء إلى الله حيث لا يضار من احتمى بحماه، ولا يخسر من تقرب إلى مولاه، ولا مخرج من الفتن إلا بصدق اللجوء إليه سبحانه، فهو القادر على تغيير واقع الأمة من العسر إلى اليسر ومن الضيق إلى الفرج ومن الذل إلى العز، يقول سبحانه : «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ » [يونس: ٢٢]، وقال سبحانه: «أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » [النمل: ٦٢].

والله من وراء القصد.

خديجة بنت خويلد

رضي الله عنها

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله، الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن خديجة بنت خويلد، هي أولى زوجات بالنبي ، وأول من آمن به ، وهي سيدة نساء الأمة الإسلامية على الإطلاق، وهي إحدى نساء أهل الجنة، فأحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرتها العطرة، لعلنا نسير على ضوئها، فنسعد في الدنيا والآخرة.

نسب خديجة رضي الله عنها:

هي خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزى بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر.

أمها: فاطمة بنت زائدة من الأصم بن رواحة بن حجر بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. (سيرة ابن هشام ج١ص ١٦٦).

كانت خديجة، رضي الله عنها، تُدعَى في الجاهلية الطاهرة. (الاستيعاب لابن عبد البر ج٤ص ٢٧١).

زواج خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم:

كانت خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغ خديجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه؛ بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يُقال له مَيْسَرة ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدمَ الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رَجُل من قريش، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبيّ.

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلاً (عائداً) إلى مكة ومعه ميسرة.

فلما قَدِمَ مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فربحت الضعف أو قريباً من ذلك، وحدثها ميسرة عن قول الراهب. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له :

يا ابن عم : إني قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك (شرفك) في قومك وأمانتك وحُسْن خُلُقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً. كل رجل من قومها كان يتمنى الزواج منها، فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ذَكَرَ ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، حتى دخل على أهلها فخطبها، فتزوجها. وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة (بعيرًا). تزوج النبي خديجة وكان عُمره خمسة وعشرين عاما، بينما كان عُمر خديجة أربعين عامًا. وكانت خديجة هي أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها. أقامت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، وهي أقرب نساء النبي إليه في النسب. (سيرة ابن هشام ج١ص ١٦٥:١٦٦)(الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ص٢٧٤).

كانت خديجة قد تزوجت قبل النبي برجلين: الأول: أبو هالة بن زُرارة بن نباش التميمي. والثاني: عَتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. (الاستيعاب لابن عبد البر ج٤ص ٢٧١:٢٧٢)

أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة:

وَلدت خديجة، رضي الله عنها، لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ أولاده، إلا إبراهيم، فمن مارية المصرية، وهم بالترتيب: القاسم، أكبر بنيه (وبه يُكنى) ، وعبد الله ، ويُلقب بالطيب والطاهر ، وأكبر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ص ١٣١) و(سيرة ابن هشام ج١ص ١٦٦:١٦٧).

إسلام خديجة بنت خويلد:

كانت خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، أول مَن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم على الإطلاق، وصَدَّقته بما جاءه من عند الله تعالى، ووقفت بجانبه، تناصره، وتدافع عنه بكل ما تملك، فخفَّف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم. فكان النبي لا يسمع من المشركين شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا فرَّج اللهُ تعالى عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عنه وتصدقه، وتهون عليه ما يلقى من قومه.(سيرة ابن هشام ج١ص ٢٠٤:٢٠٥).

خديجة: الزوجة العاقلة الرشيدة:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ - يَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَتُزَوِّدُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ بِغَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ « فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ثُمَّ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ « فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: « مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ» [العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ «عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» [العلق: ٥] « فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي « فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي «فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي «فَقَالَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَخِي أَبِيهَا - وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ، مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ « قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَأُوذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ:

وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ» (المدثر١:٥) فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. (البخاري حديث:٣:٤).

قوة إيمان خديجة بنت خويلد:

روى الفاكهي (في كتابه: أخبار مكة) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة، فأذن له وبعث بعده جارية له يُقال لها نبعة، فقال لها: انظري ما تقول له خديجة؟ قالت نبعة: فرأيت عجباً ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها ونحرها، ثم قالت بأبي وأمي والله ما أفعل هذا لشيء، ولكني أرجو أن تكون أنت النبي الذي ستبعث؛ فإن تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي، وادع الإله الذي يبعثك لي. قالت: فقال: لها والله لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندي ما لا أضيعه أبداً، وإن يكن غيري فإن الإله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبداً. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ١٦٧).

خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ. (البخاري حديث ٣٤٣٢، ومسلم حديث ٢٤٣٠).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ٥٤٣).

خديجة: المرأة الكاملة:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. (صحيح الترمذي للألباني حديث:٣٠٥٣)

أخي الكريم: اعلم أن لفظة الكمال تُطلقُ على تمام الشيء وتناهيه في بابه. والمقصود بالمرأة الكاملة: هي المرأة التي جمعت جميع الفضائل وخصال البر والتقوى. (مسلم بشرح النووي ج٨ص٢١٦) وهذا ينطبق على خديجة بنت خويلد،رضي الله عنها.

خديجة من أهل الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ (قصر) فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ(اللؤلؤ المجوف) لَا صَخَبَ(الصوت المرتفع) فِيهِ وَلَا نَصَبَ(التعب). (البخاري حديث ٣٨٢٠، ومسلم حديث ٢٤٣٢).

قال الإمام النووي(رحمه الله) قال السُّهَيْلِيُّ: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن عائشة سَلَّمَ عليها جبريل من قِبَلِ نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ١٧٣).

هدية خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم:

كان زيد بن حارثة مملوكاً لخديجة، رضي الله عنها، فلما رأت خديجة حُبَّ النبي وميله لزيد، وهبت زيداً له، فكان زيد يُدعى زيد بن محمد، حتى نزل قول الله تعالى بإلغاء التبني، ولذا كانت خديجة، رضي الله عنها هي السبب فيما امتاز به زيد بن حارثة من السبق إلى الإسلام. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٢٧٥).

غيرة عائشة من خديجة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكَتْ(ماتت) قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا(أصدقائها). (البخاري حديث ٣٨١٧، ومسلم حديث ٢٤٣٥).

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة بعد موتها:

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ.(البخاري حديث:٣٨١٨).

(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ (أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر

خديجة بذلك) فَارْتَاعَ (من الرَّوْع بفتح الراء أي فزع والمراد من الفزع لازمه وهو التغير)، لذلك فقال: اللَّهُمَّ هَالَةَ. قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ(عجوز كبيرة السِّن) هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا.(البخاري حديث:٣٨٢١، ومسلم حديث:٢٤٣٧).

قال النووي (رحمه الله) قولها: (عَجُوز مِنْ عَجَائِز قُرَيْش حَمْرَاء الشِّدْقَيْنِ) معناه : عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثاتها. قال القاضي عياض(رحمه الله): قال العلماء: الغيرة مُسامحٌ للنساء فيها، لا عقوبة عليهن فيها لما جُبلنَ عليه من ذلك، ولهذا لم تُزجر عائشة عنها. قال القاضي عياض: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها. (مسلم بشرح النووي . ج٨ ص ٢١٧).

(٣) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؛ قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ. (حديث صحيح وهذا سند حسن)(مسند أحمد ج ٤١ص ٣٥٦ حديث:٢٤٨٦٤).

(٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ. قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا. (مسلم . كتاب فضائل الصحابة، حديث:٧٥)

قال النووي (رحمه الله): قوله صلى الله عليه وسلم (رُزِقْتُ حُبَّهَا) فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت. (مسلم بشرح النووي . ج٨ ص ٢١٧).

وقال النووي أيضاً: تعليقاً على هذا الحديث وغيره في فضائل خديجة: هذا كله دليلٌ لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب.(مسلم بشرح النووي . ج٨ ص ٢١٧).

(٥) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ.(مسلم حديث:٢٤٣٦)

قال ابن حجر العسقلاني(رحمه الله) تعليقاً على هذا الحديث: هذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل مَن آمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ص ١٧١).

وفاة خديجة بنت خويلد:

تُوفيت خديجة، رضي الله عنها، في رمضان، في العام العاشر من بَعثة النبي ، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، قبل أن تُفرض الصلوات الخمس، ودُفنت بالحَجُون، جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهل خديجة، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم في قبرها، ولم تكن صلاة الجنازة قد شُرعت في ذلك الوقت، وكان عمرها خمسًا وستين سنة. (الاستيعاب لابن عبد البر ج٤ص ٢٨٠:٢٨١).

رَحِمَ اللهُ خديجة بنت خويلد رحمةً واسعةً، وجَزاها عن الإسلام خير الجزاء.

أسأل اللّه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي .. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة آخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



23936517